

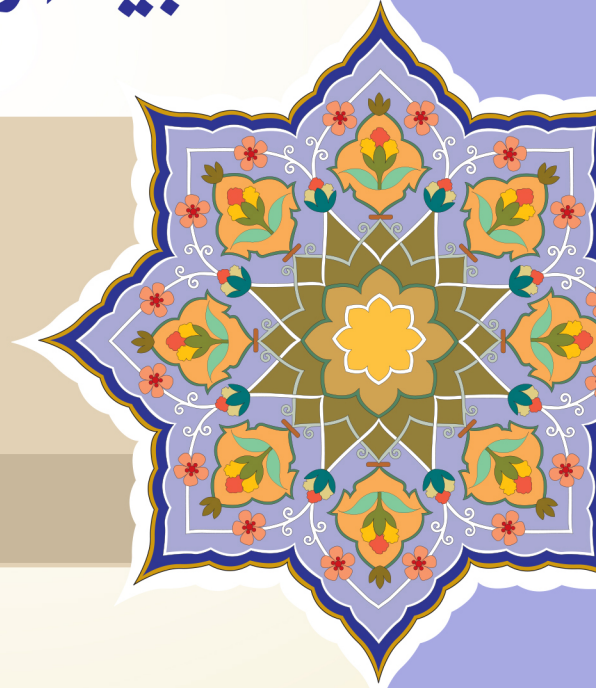


منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين



ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

رعاية الله سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى للأنبياء وأتباعهم في القرآن



إعداد

مكتب الدار للدراسات والاستشارات
التربوية والتعليمية

إشراف

أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

تم هذا المشروع
برعاية مؤسسة
آل الجميح الخيرية



رعاية طلاب العلم

منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم المغتربين (٥)

رعاية الله للأنبياء وأتباعهم في القرآن

مشروع بحثي قام به مكتب

الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية

تحت إشراف معهد البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إشراف

أ.د محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

١٤٣٩هـ



المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه ومن سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. وبعد:

الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً بشر من آحاد البشر، اصطفاهم الله بأن جعلهم أنبياء وأهلهم لذلك بالعلم، ليعلموا الناس ويرشدوهم إلى الله تعالى، وهذا العلم الذي تعلموه من عند الله تعالى أوحى الله به إليهم عن طريق جبريل عليه الصلاة والسلام، فلا غرابة أن نقول عن هؤلاء الأنبياء أنهم كانوا طلبة علم يتعلمون ويعلمون.

ولتلك الفئة الذين اصطفاهم الله أنبياءً عنايةً خاصةً من الله تعالى، فالله تعالى هيأهم لحمل وتبليغ رسالته للناس، فحفظوا بكل أنواع الرعاية الإلهية.

وهذا البحث محاولة لعرض رعاية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام - قبل مبعث محمد ﷺ الذين اعتنى بهم الله تبارك وتعالى، ورباهم، وعلمهم، وأهلهم لحمل رسالته، وهذه المحاولة ليست على وجه التفصيل ولكن على وجه الإجمال مراعاة لعدم الإطالة، لأن المقصود هو إيصال الفكرة، وعنوانته بد: "رعاية الله رعاية الله لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم في القرآن" وذلك ضمن موسوعة [منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم].





مع التنبيه إلى أن رعاية الله تعالى لأبيائه مستنبطة من أمرين:
الأول: نص الله تعالى على رعايته لهم ومخاطبتهم وتوجيهه المباشر لهم.

الثاني: من خلال موافقهم وأعمالهم التي تدل على أن عناية وإعداداً ربانياً سبق التكليف بالدعوة واستمرت هذه العناية في كل مراحل الدعوة.

سبب اختيار الموضوع:

- الحاجة الشديدة لمنهج رباني في رعاية طلاب العلم.
- ربط الأمة بالقرآن الكريم، والتأسي بسيرة الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.
- إبراز جانب رعاية الله تعالى بطلاب العلم متمثلة في رعايته لأبيائه وعباده الصالحين.
- حاجة الأمة إلى رعاية طلاب العلم فيها؛ لتكون مصنعةً يخرج أتباعاً وارثين تلك المهمة، وهي نشر ميراث النبوة وتبليغ الرسالة، وإيصال رحمة الله لخلقه.
- حاجة الأمة إلى طلبة علم يقتدون بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتجاوب الإيجابي مع تلك الرعاية الإلهية سواء في تلقيهم العلم، أو في تبليغه لأقوامهم.
- بعد كثير من المعلمين والمربين وأهل الخير عن الاهتمام بجانب رعاية طلاب العلم.

خطة البحث:

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وقائمة بالمراجع، ثم فهرس للموضوعات، وكان ذلك

وفق الخطة التالية:





المقدمة: وتشتمل على سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجيته.

تمهيد: حول رعاية الله للأنبياء عموماً: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء.

المطلب الثاني: الرعاية الخاصة لبعضهم.

الفصل الأول: رعاية الله لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام:

المبحث الأول: رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية الدعوية لنوح عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية الخاصة من الله لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية التربوية على السمع والطاعة المطلقة.

المطلب الخامس: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وأمهما:

المطلب الأول: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال أمه.

المطلب الثاني: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام رعاية خاصة.





المطلب الثالث: الرعاية التربوية لموسى عليه الصلاة والسلام.
المطلب الرابع: الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام.
المطلب الخامس: الرعاية الدعوية لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه:
المطلب الأول: الرعاية التربوية لعيسى عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لعيسى عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثالث: الرعاية النفسية وحفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لعيسى عليه الصلاة والسلام.
المطلب الخامس: رعاية الله تعالى لوالدته مريم عليها السلام.
الفصل الثاني: نماذج من رعاية الله لبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام:

المبحث الأول: رعاية الله لأدم عليه الصلاة والسلام وذريته:
المطلب الأول: الرعاية التربوية لأدم عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثاني: الرعاية العلمية لأدم عليه الصلاة والسلام.
المبحث الثاني: رعاية الله لإسماعيل عليه الصلاة والسلام:
المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام.
المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام:
المطلب الأول: الرعاية التربوية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.





- المطلب الثاني:** الرعاية العلمية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الثالث:** الرعاية الأسرية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الرابع:** الرعاية الدعوية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الخامس:** الرعاية الأمنية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.
- المطلب السادس:** الرعاية مهارية لنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.
- المطلب السابع:** رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته من خلال والدهم يعقوب عليهم الصلاة والسلام.
- المبحث الرابع:** رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام:
- المطلب الأول:** الرعاية التربوية لداود عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الثاني:** الرعاية العلمية لداود عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الثالث:** الرعاية مهارية لداود عليه الصلاة والسلام.
- المبحث الخامس:** رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام:
- المطلب الأول:** الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الثاني:** الرعاية العلمية لسليمان عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الثاني:** الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الثالث:** الرعاية مهارية لسليمان عليه الصلاة والسلام.
- المطلب الرابع:** الرعاية الدعوية لسليمان عليه الصلاة والسلام.
- المبحث السادس:** رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام:





المطلب الأول: رعاية الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام من خلال ابتلائه.

المطلب الثاني: الرعاية التربوية لأيوب عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية الصحية والاجتماعية لأيوب عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: رعاية الله لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام:

المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: الرعاية الأسرية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الرعاية الدعوية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام.

الفصل الثالث: رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم وتعليمه:

المبحث الأول: قصة مؤمن آل فرعون:

المطلب الأول: عرض قصة مؤمن آل فرعون من القرآن.

المطلب الثاني: عرض قصة مؤمن آل فرعون باختصار.

المطلب الثالث: فوائد منهجية في رعاية طلاب العلم من خلال القصة.

المبحث الثاني: قصة موسى عليه الصلاة والسلام والخضر:

المطلب الأول: عرض قصة موسى والخضر من القرآن.

المطلب الثاني: معنى الآيات إجمالاً.

المطلب الثالث: الفوائد المستنبطة من القصة.





المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب:

المطلب الأول: ما ورد من القصة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: الفوائد العملية من القصة.

المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف.

المطلب الأول: عرض إجمالي لقصة أصحاب الكهف.

المطلب الثاني: فوائد في رعاية طلاب العلم من قصة أصحاب

الكهف.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس: وفيه قائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

منهجية البحث:

المنهجية التي سلكتها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

• عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.

• الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.

• الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.

• التزام إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.

• الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.

• الاجتهاد قدر المستطاع أن لا نذكر قاعدة ولا حكماً، ولا

أمراً من أمور رعاية الله لأنبيائه وأتباعهم إلا وندلل عليه

من القرآن، وما يفسره من السنة، وأقوال أئمة السلف.





- الالتزام قدر المستطاع عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.
 - محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة لاستخراج ذلك المنهج التربوي الرائد في رعاية طالب العلم.
- والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأن يبارك فيه.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أخوكم

أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية





تمهيد:

حول رعاية الله للأنبياء عموماً

بين الله تعالى في كتابه الكريم قصص عدد من الأنبياء والرسل لكي نستلهم منهجاً متكاملًا في حياتنا، وفي دعوتنا وتربيتنا.. ومن ذلك جانب رعاية الله تعالى لأنبيائه.. للنظر فيه ونتخذ منه سراجاً نهتدي به في إعداد الدعاة وتخريج المريين..

وقد شملت هذه التربية وهذه الرعاية الربانية كل الأنبياء على حسب احتياج كل نبي أو رسول من جوانب الإعداد والتربية والرعاية المستمرة، ولكن اجتمع جميعهم في عدد مجالات الرعاية المهمة والأساسية نعرضها من خلال مطلبين:

المطلب الأول

الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِآءٍ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٩٠].





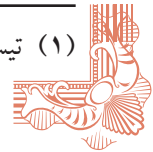
يمكن إجمال رعاية الله تعالى لأنبيائه من خلال الآيات في النقاط التالية:

١ - اصطفاؤهم واختيارهم لتلقي الوحي وإبلاغه:

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] أي: "يختار ويختبي من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلاً بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئاً دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعته وبصره بجميع الأشياء، فاخياره إياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]"^(١).

"لقد جرت سنة الله في خلقه أن يصطفي بعض عباده لمهمة النبوة والرسالة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَمْسِجُ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخَذُوا مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا الاصطفاء والاختيار منة إلهية، امتن الله بها على الأنبياء والمرسلين، فلم يصلوا إليها بكسب ولا جهد، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا بها، كما يزعم الضلال من الفلاسفة، حيث ذهبوا إلى أن

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٥٤٦.





النبوة مكتسبة، وأن من هذب نفسه بالخلوة والعبادة، وأخلى نفسه عن الشواغل العائقة عن المشاهدة، وراض نفسه، وهذبها، تهيأ للنبوة"^(١).

٢ - إرشادهم وتعليمهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم:

فقد ذكر الله هدايته لهم في هذا المقطع ثلاث مرات:
﴿ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وقال: **﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾** وقال: **﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً ﴾**

"وكرر الهداية على سبيل التوضيح للهداية السابقة، وأنها هداية إلى طريق الحق المستقيم القويم الذي لا عوج فيه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك"^(٢).

قال ابن كثير: "ذكر أصولهم وفروعهم. وذوي طبقتهم، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم؛ ثم قال: **﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾** أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم"^(٣).

وقال الجنيد: "أي أخلصناهم وآويناهم ودللناهم للاكتفاء بنا عما سوانا وهم أهل السابقة الذين سألوه سبحانه الهداية"^(٤).

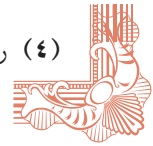
ومثل ذلك قوله تعالى في سورة مريم بعد ذكر مجموعة من الأنبياء: **﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾** [مريم: ٥٨].

(١) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع لعبد الرؤوف محمد عثمان.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤ / ١٧٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩. باختصار.

(٤) روح المعاني للألوسي ٧ / ٢٥٦ باختصار.





٣ - أَنْ اللَّهُ آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ:

قال تعالى عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام ٨٩]، وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) [آل عمران ٤٨].

وقال تعالى عن محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران ١٦٤].
فبين سبحانه الحكمة الإلهية من ذلك الإتيان والتعليم: وهو أن يبلغوه للناس، ويعلموهم إياه، ويربوهم عليه، تربية خاصة، تجعلهم حكماء بعد أن كانوا ضلالاً ضائعين، ولذا أمر أتباعهم من العلماء والأخبار بذلك؛ فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) [آل عمران ٧٩].

٤ - جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ صَالِحِينَ وَمَصَالِحِينَ:

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذريته: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم ٤٩ - ٥٠].

"فقد اعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم وهجر أهله ودياره، فلم يتركه الله وحيدا. بل وهب له ذرية من الأنبياء وعوضه خيرا، ففي قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ إشارة





إلى ذلك فالرحمة تذكر هنا لأنها هبة الله التي تعوض إبراهيم عن أهله ودياره، وتؤنسه في وحدته واعتزاله".

وقال تعالى عن عدد من الأنبياء: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۗ ﴾ (٨٥) ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأَلْيَاسَ كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۗ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ ﴾ (٨٧) [الأنعام ٨٥ - ٨٧].

٥ - تسخير الله معاشهم:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان ٢٠]، "أي يتجرون ويحترفون"^(١). فجعل أمر الرعاية المادية للأنبياء كسائر الناس.

٦ - جمع الله لهم بين النبوة والابتلاء:

قال تعالى عن لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْقَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيْثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِيْنَ ۗ ﴾ (٧٤) [الأنبياء ٧٤].

وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۗ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ۗ ﴾ (٣٢) [القصص ١٤].

فقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ أي: "المحسنين في عبادة الله، المحسنين لخلق الله، نعطيهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم، ودلّ هذا على كمال إحسان موسى عليه الصلاة والسلام"^(٢).

وقد بين النبي ﷺ ذلك صريحاً: ((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب - وفي رواية: قدر -

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/١٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦١٣.





دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(١).

٧ - جمع الله لهم بين النبوة والبشرية:

من رعاية الله لأتبيائه أنه يهب لهم الأولاد ليشبع عندهم هذه الرغبة الإنسانية، وهذه الهبة جزاء ومكافأة على إحسانهم؛ قال تعالى عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء ٨٩ - ٩٠].

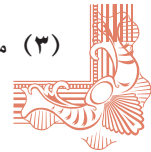
فهذه "آية من آيات الله في عنايته بأوليائه المنقطعين لعبادته"^(٢)، "وكرم الرب يتجاوز طمع الأنبياء فيه - مع عظيم علمهم به - فله ما أعظم إحسان ربنا! وما أوسع كرمه!"^(٣).

وقد وهب الله عامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجاً وذرية ماعدا يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨].

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٢٣)، وأحمد برقم (١٤٨١) و(١٤٩١) و(١٥٥٥) و(١٦٠٧) و(٢٧٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٢٥ / ١ (١٤٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧ / ١٢٣.

(٣) من تديرات الشيخ إبراهيم الأزرق في مجموعة ليدبروا آياته.





المطلب الثاني

الرعاية الخاصة لبعضهم

إن المتتبع لآيات القرآن يجد رعاية الله تعالى لبعض أنبيائه في أمور معينة، من أهمها:

١ - مكن الله بعضهم من رعاية أنبيائهم حتى جعلهم أنبياء:

ويتضح ذلك من أن كثيراً من الأنبياء رعو أبناءهم، أو رعاهم أقرباءهم من أي جهة كانوا، فأخرج الله منهم أئمة يدعون إلى الله:

فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعتني بأبنائه ويوصيهم قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٢].

وكذلك يعقوب عليه الصلاة والسلام يعتني بأبنائه، فيجمعهم ليطمئن على عقيدتهم كما قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهُمَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٣]. ومن هنا يتضح دور الآباء والأقارب في رعاية طلاب العلم.

واستجاب الله تعالى لدعاء زكريا عليه الصلاة والسلام، واصطفى ابنه يحيى ليكون نبياً، كما قال تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ لِّكَ يَا زَكَرِيَّا إِنَّكَ مَدْعُودٌ رَبِّهِ قَالَ رَبِّ

هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٣٨] فَادَّاهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ





قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُدْشِرُكَ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا
وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [آل عمران: ٣٨ - ٣٩].

٢ - جمع الله لبعضهم بين النبوة والملك:

قال تعالى عن إبراهيم وذريته من الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام: ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
عَظِيمًا ﴾ [النساء ٥٤]. "ذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته من
النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من أعطاه من أنبيائه كـ "داود"
و"سليمان". فإنعامه لم يزل مستمرًا على عباده المؤمنين"^(١).

وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام:
﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء ٧٩].

وقال تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف
٢٢]. "أي: جعلناه نبيًا رسولًا وعالمًا ربانيًا، ودل هذا، على أن
يوسف وفي مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم
الكثير والنبوة"^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٩٥.





الفصل الأول

رعاية الله لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام

وعلى هذا فإن المباحث التي سيتم دراستها هنا ما يلي:

المبحث الأول: رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام:

المبحث الثاني: رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة
والسلام ولأُمهما.

المبحث الرابع: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأُمه.





تمهيد:

لقد أبرز القرآن الكريم عناية الله تعالى بأبيائه عليهم الصلاة والسلام، وبين كيف أن الله تعالى أولاهم عناية خاصة تمثلت في جميع أمور حياتهم الدينية والدنيوية، والعلمية والعملية، وأوصاهم بوصايا هي بمثابة قواعد في تأهيلهم للدعوة فساروا على منهاجها بعيدين عن كل ما يُجِلُّ بنبوتهم ودعوتهم.

وفي هذا الفصل يتضح الأمر من خلال تسليط الضوء على جوانب رعاية الله تعالى لأولي العزم من الرسل وتلبية احتياجاتهم العلمية والتربوية والنفسية والأسرية وغيرها من جوانب الرعاية. وقد أفردنا بحثاً خاصاً يلي هذا البحث عن رعاية الله لنبيه محمد ﷺ، ولم أستطع ضمه هنا لهذا البحث نظراً لطوله.

وقد دجت بين رعاية الله لموسى وهارون نظراً لأن قصتهما في القرآن تأتي في سياق واحد، وخطاب الله لهما يأتي كذلك في خطاب واحد في عدد من المواضع.





المبحث الأول

رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام

تظهر رعاية الله تعالى لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام وعنايته به بما ظهر من مواقفه في دعوته، حيث دلت مواقفه الدعوية على عناية الله تعالى له، ويمكن إبراز هذا الجانب من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

الرعاية التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على التعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين:

وهذا ظاهر في التجائه عليه الصلاة والسلام بشكواه لربه فيما يلاقيه من صدود وإعراض وأذى، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ لَمَّا تَنْتَه يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْجَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَجَّحِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ [الشعراء: ١١٦ - ١١٨]. "وربه يعلم أن قومه كذبوه. ولكنه البث والشكوى إلى الناصر المعين، وطلب النصفة، ورد الأمر إلى صاحب الأمر" (١).

وقد كان عليه الصلاة والسلام ييئث شكواه لربه من عناد وتكذيب قومه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: ٥ - ٦].





وقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمَّ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِن لَّمَّ يَزِدُّهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]. وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢٦﴾ [نوح: ٢٦].

"ذلك الدعاء المنبعث من قلب جاهد طويلا، وعانى كثيرا، وانتهى بعد كل وسيلة إلى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة الباغية العاتية، وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة، فأحيانا لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائيا، ويجول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين".

وكان ﷺ يدعو لنفسه ولمن آمن به، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾ [نوح: ٢٨].

٢ - تربيته على عبادة الشكر:

فقد اعتنى الله تعالى بنبيه نوح عليه الصلاة والسلام بغرس عبادة الشكر في قلبه، وتمكن نوح عليه الصلاة والسلام من القيام بهذه العبادة حتى صارت صفة لازمة له، فقد قال تعالى مادحا رسوله نوحا عليه الصلاة والسلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] فأثنى عليه سبحانه بالعبودية والشكر.

وأتى بها على صيغة المبالغة، زيادة في بيان مكانة هذا النبي الكريم الذي كان برغم ما عانى من قومه وقاسى في سبيل تبليغ دعوته مئات السنين - عبدا شاكرا لله على كل حال، ولذلك فإن أهل المحشر حين أرادوا استعطف سيدنا نوح عليه الصلاة





والسلام ليشفع لهم عند ربه عز وجل نادوه بأحب ما وصفه الله به فقالوا: ((... يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد ساءك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه...))^(١).

٣ - تربيته على الأمانة والعفة عما في أيدي الناس:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الشعراء: ١٠٦ - ١٠٩].

فقد ربى الله نبيه ﷺ على هاتين الصفتين وأمر نبيه أن يخبر بهما قومه، لما هما من أثر كبير في شخصية الداعية وأدعى لقبوله. فالأمانة صفة أساسية لكل الأنبياء حيث أن الدعوة تحتاج لتلك الصفة في دقة التبليغ وشموليته وكذلك في أخلاقيات الداعية في التعامل مع المجتمع..

"والتبنيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائما ضروريا للدعوة الصحيحة، تميزا لها مما عهدته الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد. وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائما مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب. فأما دعوة الله الحقبة فكان دعائها دائما متجردين، لا يطلبون أجرا على الهدى. فأجرهم على رب العالمين".

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ﴾

﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيه (٤٨٠).





٤ - تربيته على الصبر:

فقد رباه الله على الصبر على مشاق الدعوة وانتفاخ الباطل وعناده، وكانت من ثمرة هذه التربية أن ضرب نوح عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في الصبر على المدعويين في دعوته وفي تحمل أذيتهم وتكذيبهم، فلقد لبث في قومه يدعوهم إلى الله تسعمائة وخمسين عاما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] ومع ذلك ما آمن معه إلا قلة من الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

٥ - تربيته على الحلم:

فقد رباه الله تعالى على الحلم وضبط النفس عند أذية المعاندين والمكذبين، ويظهر ذلك في حلمه على قومه رغم أذيتهم له وسخريتهم به، فحينما رموه بالضلالة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِنَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿فَمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ وَلَا سْفَهَمُ﴾ بل اكتفى بقوله: ﴿قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الاعراف: ٦٠-٦١]. فانظر إلى قمة الرقي في الحلم؛ فحين وسموه بالضلالة لم يرد عليهم ويصفهم بالضلالة _ولئن فعل فهو محق_ لكنه اكتفى بنفي الضلالة عن نفسه.

٦ - تربيته على نصره الضعفاء من المؤمنين:

من واجبات الداعية نصره المظلومين، ولذا فقد ربي الله نبيه نوح عليه الصلاة والسلام على هذا الأمر، فكان نوح عليه الصلاة والسلام يدافع عن المستضعفين الذين معه ويدافع عنهم، حتى أنه لما احتقروا



أتباعه من الضعفاء رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢٩) وَيَقَوْمٍ مِّن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٠) [هود: ٢٩ - ٣٠].

"كأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام.

وقوله: ﴿وَلِكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ حيث تأمروني بطرد أولياء الله وإبعادهم عني، وحيث رددتم الحق، لأنهم أتباعه، وحيث استدلتتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم، وإنه ليس لنا عليكم من فضل. ﴿وَيَقَوْمٍ مِّن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي: من يمنعني من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع" (١).

وقد خاف نوح عليه الصلاة والسلام على الضعفاء الذين معه، حتى كان من أسباب دعائه على قومه خشيته على الضعفاء من إضلال الكبراء لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَقَارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

"لفظة ﴿عِبَادَكَ﴾ توحى بأنهم المؤمنون. وذلك بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة الغاشمة، أو بفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية!".



المطلب الثاني الرعاية الدعوية لنوح عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام الدعوية في النقاط التالية:

١ - تعليمه أسس الدعوة:

علم الله نبيه ﷺ أولويات الدعوة، وهو توحيد الله تعالى، ولذا فإن أول ما نادى به نوح عليه الصلاة والسلام قومه؛ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وعلمه كذلك كيف يقرر التوحيد ويقنع به؛ ويظهر هذا في قول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤) ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (١٥) ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١٦) ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧) ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (١٨) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ (١٩) ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

٢ - توجيهه إلى النصح للمدعوين والشفقة عليهم:

تظهر ثمرة هذه العناية في قول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤) [هود: ٣٤]، وقال: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِيَمِيَنَّا وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٢) [الأعراف: ٦٢].





"والنصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من الشوائب المكروهة"^(١).

ويظهر كذلك من أسلوبه عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب قومه مشفقاً عليهم، قال تعالى: ﴿يَقُومُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].
ويظهر أيضاً في قول نوح لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: ٢٥]، "أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بيانا زال به الإشكال"^(٢).

قال ابن عاشور: "وعُدل عن أن يقال له أنذر الناس إلى قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١] إلهاباً لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته"^(٣).
وتظهر ثمرة هذه التربية كذلك في قول نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ - ٩]. "فقوله: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ عبارة عن استمرار دعوته وأنه لم يتوان فيها قط، ثم كرر عليه الصلاة والسلام صفة دعوته لهم؛ بيانا وتأكيدا، وجهارا؛ أي: علانية في المحافل، والإسرار؛ ما كان من دعاء الأفراد بينه وبينهم على انفراد، وهذا غاية الجهد"^(٤).

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤٩/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٨٠.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨٧/٢٩.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٣٧٣.





٣ - تربيته على الترفق بالمدعوين:

وهذا ظاهر في تكرار مناداته لهم بـ ﴿ قَالَ يَقْوَرُ ﴾، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقْوَرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَٰنِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكْمُوهُمَا وَاتَّمَرَتْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨].
"وهذا تطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة إلى الحق، فهو يقول لهم: ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَٰنِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ ﴾؛ أي النبوة والرسالة، ﴿ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ ﴾؛ فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها، ﴿ أَنْزَلْنَا مُكْمُوهُمَا ﴾ أي: أنغصبكم بها ونجبركم عليها ﴿ وَأَتَّمَرَتْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾" (١).

وقد تجلى هذا الأسلوب أيضاً في تكرار مناداة نوح عليه الصلاة والسلام لابنه الذي أبى أن يؤمن، قال تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]، فقلوه: ﴿ يَبْنَئُ ﴾ إشعاراً له بقربه منه وحنوه وشفقته عليه، أملاً في استجابته للحق والإذعان لرب العالمين (٢).

٤ - تعليمه أسلوب الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَقْوَرُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (٣) ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: ١ - ٤]، فرغبهم

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٨.

(٢) انظر هذه الأساليب: المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبدالكريم زيدان: ١/ ١٣٠ - ١٤٤.





في أنهم لو عبدوا الله وأطاعوا رسوله؛ يغفر لهم ذنوبهم ويمتعمهم في هذه الدار، ويدفع عنهم الهلاك إلى أجل مسمى؛ أي: مقدر للبقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره، وليس المتاع أبداً، فإن الموت لا بد منه^(١) وفي هذا ترهيبهم من بقائهم على كفرهم وعنادهم حتى يأتيهم الأجل.

وقال أيضاً مرغبا لهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، فرغبهم فيما تشبهه نفوسهم من الأموال والبنين والجنات والأنهار، وبين لهم أن ذلك ثمرة للإيمان والاستغفار.

٥ - تعليم الله له صناعة السفن:

من رعاية الله لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام أن علمه مهارة صناعة السفن معجزة له، ونجاة له ولن آمن معه، حيث أنه لما بلغ من كفر قوم نوح مبلغه؛ وأوحى الله تعالى إلى نبينا نوح عليه الصلاة والسلام ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]؛ توجه إلى ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠] و﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٦].

وكان قد أمره ربه عز وجل بصنع سفينة يحمل فيها من آمن معه إذا جاء أمر الله، ويحمل معه أيضا من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها،





وأن يحمل معه أهله إلا من سبق عليه القول منهم، أي: إلا من كان منهم كافراً، وجعل له علامة بداية هذا الأمر أن يفور الماء من التنور الذي يجذب فيه^(١).

قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخَرَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

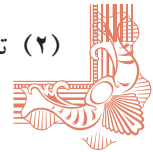
٦ - التخفيف على نوح عليه الصلاة والسلام مما يلاقيه في دعوته:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦] "أي: فلا تحزن، ولا تبال بهم، وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد"^(٢).

"فلا تحس بالبؤس والقلق، ولا تحفل ولا تهتم بهذا الذي كان منهم، لا على نفسك فما هم بضاريك بشيء، ولا عليهم فإنهم لا خير فيهم".

(١) هو أحد أقوال ستة في تفسير معنى "وفار التنور" انظر جميع ذلك في: النكت والعيون، الماوردي (٢/ ٤٧٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: (٢/ ٣٧٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٨١.





المبحث الثاني

رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

تنوعت رعاية الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فنلاحظ فيها الجانب العلمي مع العملي، والجانب التربوي، والجانب الاجتماعي في الأسرة، وإليك بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول

الرعاية الخاصة من الله نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام

يمكن إبراز رعاية الله الخاصة بإبراهيم في النقاط التالية:

١ - اجتباء الله وهدايته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْبَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [النحل ١٢ - ١٢٢].

قوله: " ﴿ أَحْبَبْنَاهُ ﴾ أي: اختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين، ﴿ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ في علمه وعمله، فعلم الحق وعمل به وآثره على غيره. ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا رِزْقًا وَاسِعًا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقاً مرضية ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى" (١).

٢ - أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً:

كما قال تعالى: ﴿ وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].





والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين وهما محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فعن جندب - رضي الله عنه - أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يتوفى: ((إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً))^(١).

والخلة لله تعالى هي كمال المحبة ومنتهاها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل قد تحللت مسلك الروح مني وبذا سمى الخليل خليلاً"^(٢).

ولذلك كان - عليه الصلاة والسلام - موفق في دعوته مسدد في تبليغه آيات ربه، فكلما كان الداعية قريب الصلة بربه، قائماً بما يستلزم محبة الله له من واجبات ومستحبات وأنواع القربات المتنوعة، كان ذلك أحرى أن يعينه ربه سبحانه وتعالى في قبول الناس لدعوته وامتثالهم لما يرشدهم إليه من أوامر الله تعالى.

٣ - حفاوة الله بإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [٤٧] [مريم ٤٧].

"أي مبالغاً في اللطف بي"^(٣)، "رحيماً رؤوفاً بحالي، معنياً بي"^(٤).

لقد أحس إبراهيم عليه الصلاة والسلام برعاية الله له وحفاوته به، فنطق لسانه بهذا عند طرد أبيه وتوعده له، فهو يعلم أن ربه لن يضيعه فقد تعود من ربه أن يكرمه ويستجيب له.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٩٩/٢ رقم (٤٠١٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٤٢٠/٦.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ١٠١/٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٩٤.





٤ - آتاه الله الرشد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] "يخبر تعالى عن خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أنه آتاه ﴿رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾، أي: أعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤتته أحدا من العالمين، غير محمد، وأضاف الرشد إليه، لكونه رشدا، بحسب حاله، وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن، له من الرشد، بحسب ما معه من الإيمان. ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: أعطيناه رشده، واختصصناه بالرسالة والخلة، واصطفيناه في الدنيا والآخرة، لعلمنا أنه أهل لذلك، وكفاء له، لركائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيه عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة" (١).

٥ - أهله الله تعالى ليكون أمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]. فالرجل الأمة هو الرجل الجامع لخصال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس (٢)، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم، وهذه تدلنا على عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق حري بأن يحتذي به الدعاة في حياتهم وتزكية أنفسهم، واجتهاد أحدهم في تقويم أخلاقه والنشاط في دعوته ليقوم مقام أمة في ذلك. وقيل أن المقصود بالأمة هنا: أي الإمام، أي قدوة يقتدى به في الخير، ومن قال به ابن جرير الطبري وابن كثير (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٥٢٥.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان ٧/ ٣٣٤.

(٣) جامع البيان للطبري (١٧/ ٣١٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦١١.





قال العلامة السعدي رحمه الله: "ينجز تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة، فكان إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً، مديماً لطاعة ربه، مخلصاً له الدين، مقبلاً على الله بالمحبة والإنابة والعبودية، معرضاً عما سواه من عبادة غير الله في قوله وعمله وجميع أحواله، لأنه إمام الموحدين الحنفاء"^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الأمة هو معلم الخير الذي يؤتم به، كما أن القدوة الذي يقتدي به، والله جعل من ذريته النبوة والكتاب، وإنما بعث الأنبياء بعده بملته"^(٢).

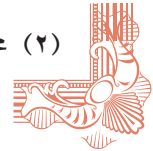
فقد كان الخليل عليه الصلاة والسلام قدوة للعالمين، لأنه إمام المتقين، وإمام الحنفاء الذي أمر الله نبيه ﷺ وأتمه اتباع ملته، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]. وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

٦ - حفظ الله لإبراهيم من النار:

من رعاية الله تعالى الخاصة بإبراهيم عليه الصلاة والسلام أن نجاه من مكر قومه به حينما أردوا أن يحرقوه، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٥١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠ / ٢٠٢.





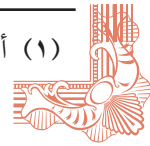
وَأَنْصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْدُرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ
إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنبياء ٦٨ - ٧١].
وقال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ [الصافات: ٩٧ - ٩٨].

"قال بعض العلماء إن الله تعالى لو لم يقل وَسَلَامًا لَهْلَكَ
إبراهيم من برد النار" (١)، "لا نسأل: كيف لم تحرق النار إبراهيم،
والمشهد المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال
للنار: كوني حارقة. هو الذي قال لها: كوني بردا وسلاما. وهي
الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا
المدلول. مألوف للبشر أو غير مألوف"، إنها قدرة الله التي يغير
بها السنن ليحفظ أوليائه.

٧ - تطمين قلبه برؤيته مقدرة الله على إحياء الموتى:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ
قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ
يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ [البقرة ٢٦٠].

"فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف
يحيي الموتى، لأنه قد يقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده
عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين، فلماذا قال الله له: ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ ۗ





قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمَئِنَنَّ ﴿١﴾ وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيله أولو العرفان" (١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والتحقيق في هذا الباب أن العيان أتم وأكمل، والسماع أعم وأشمل، فيمكن أن يعلم بالسماع والخبر أضعاف ما يمكن علمه بالعيان والبصر أضعافاً مضاعفة ولهذا كان الغيب كله إنما يعلم بالسماع والخبر ثم يصير المغيّب شهادة، والمخبر عنه معاينا، وعلم اليقين عين اليقين" (٢).

فتطمئن قلب طالب العلم للعلم من الأمور المهمة لثبيتها في قلبه ولكي يكون على مقدرة لتبليغها للناس وتبينها.

المطلب الثاني

الرعاية العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

أولاً: تعليمه التفكير في خلقه:

قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾** ﴾ [الأنعام ٧٥]. والمعنى: "كما أرينا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نريه ﴿ **مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ** ﴾" فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١١٢.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٦٤٦.





قوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ** ﴾ لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ﴿ **مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى^(١). وفي هذا "إشارة إلى حجة مستنبطة من دلالة أحوال الموجودات على وجود صانعها.

والرؤية هنا مستعملة للانكشاف والمعرفة، فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف، فتشمل المبصرات والمعقولات المستدلّ بجميعها على الحق وهي إراءة إلهام وتوفيق، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام ابتدأ في أوّل أمره بالإلهام إلى الحق كما ابتدأ رسول الله ﷺ بالرؤيا الصادقة. ويجوز أن يكون المراد بالإراءة العلم بطريق الوحي.

وقد حصلت هذه الإراءة في الماضي فحكاها القرآن بصيغة المضارع لاستحضار تلك الإراءة العجيبة كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا** ﴾ [فاطر: ٩].. وإضافة ملكوت السماوات والأرض على معنى [في]، والمعنى ما يشمله الملك أو المُلْك، والمراد مُلك الله. والمعنى نكشِف لإبراهيم دلائل مخلوقاتنا أو عظمة سلطاننا كشفاً يطلعه على حقائقها ومعرفة أن لا خالق ولا متصرّف فيما كشفنا له سوانا^(٢).

(١) لباب التأويل للخازن ٢/٤٠٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/٤٩٧.





ثانياً: تعليمه قوة الحجّة:

ويظهر ذلك في عدة مواقف منها: موقفه في محاجة قومه، وموقفه في هدم الأصنام، وموقفه في مناظرة النمرود، فإن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج.

ويشير إلى ذلك القرآن في عدد من الآيات وفي التعقيب على مواقف المناظرة وإقامة الحجّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ لِّمَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠) ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) [الأنعام: ٨٠-٨١].

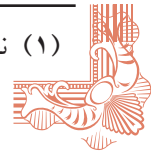
"بين أنه تعالى قد أحسن إليه، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، ويخافه من عواقب العصيان، لأن من رُجي خيره خيف ضيره، ومن كان بيده النفع والضرر والهداية والإضلال فهو من وضوح الأمر وظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه المحاجة"^(١).

ثالثاً: تعليمه قوة المناظرة:

ويظهر أثر هذا التعليم الرباني من الله لإبراهيم عليه السلام في

عدد من المواقف منها:

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢ / ٦٦١.



مناظرته قومه في عبادة غير الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازِرْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُتَوَقِّينَ ۝٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ ۝٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٩].

وكذلك عندما هدم الأصنام، فناظرهم بقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلُهُ كِبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ۝٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۝٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۝٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٣ - ٦٧].

فقد استشارهم لإعمال العقل وأمرهم بالتوجه بالسؤال إلى الأصنام التي يعرفون أنها لن ترد عليهم.

وفي مناظرته للنمرود مدعي الألوهية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].



فقد تضمنت قصص الخليل عليه الصلاة والسلام الخبر عنه في فن المناظرة وآدابها، وطرقها ومسالكها النافعة، وكيفية إلزام الخصم بالطرق الواضحة التي يعترف بها أهل العقول، وإلجاؤه الخصم الألد إلى الاعتراف ببطلان مذهبه، وإقامة الحججة على المعاندين وإرشاد المسترشدين.

رابعاً: تعليمه البناء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة ١٢٧]. فإن الله تعالى أمره أن يبني الكعبة، وأهله لذلك العمل، وجعل ابنه يساعده في ذلك.

ويؤخذ من هذا درس لطيف وهو أن على الدعاة أن تكون لديهم خبرات في تلبية احتياجات الدعوة، فعندما أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببناء الكعبة، كانت تحتاج إلى معرفة وخبرة بالبناء، فالله سبحانه وتعالى كما علمه الوحي والرسالة، كذلك أكسبه وأعطاه خبرة البناء ليقوم بهذا العمل على أكمل وجه. ويظهر هذا الأمر كذلك في رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام حيث أكسبه مهنة النجارة لحاجة الدعوة إليها في مرحلة مهمة من مراحلها.

وكذلك علم سليمان وداود ويوسف عليهم الصلاة والسلام علم الحكم والقيادة والقضاء لطبيعة الدعوة وما تحتاجه من إمكانيات مناسبة لواقع الدعوة، ودور الداعية في إصلاح الدنيا والدين.





المطلب الثالث

الرعاية التربوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

تين من خلال سيرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه حظي برعاية تربوية ربانية أوصلته لمرتبة عالية عظيمة في علاقته بربه، وكذلك في علاقته بقومه وصبره على دعوتهم، نبرز لك من خلال النقاط التالية:

١ - تربيته على الأدب مع الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨١].

فقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ "إسناده فعل المرض إلى نفسه تأدب مع الله راعى فيه الإسناد إلى الأسباب الظاهرة في مقام الأدب، فأسند إحداث المرض إلى ذاته ولأنه المتسبب فيه" (١).
"فلما كان المرض ضرراً، نزهه عن نسبته إليه أدباً وإن كانت نسبة الكل إليه سبحانه معلومة" (٢).

فلا ينسب مرضه إلى ربه وهو يعلم أنه بمشيئة ربه يمرض ويصح إنما يذكر ربه في مقام الإنعام والإفضال إذ يطعمه ويسقيه ويشفيه، ولا يذكره في مقام الابتلاء حين يتبليه.

٢ - تربية الله له على أدب الحوار:

ويتضح هذا من خلال مواقف أدبه في الحوار مع والده:

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩/١٤٢.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/٣٦٩.



قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِلْأَرْحَامِنَا وَأَهْجُرْنَا مَلِيًّا ۗ ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۗ ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم: ٤٢-٤٧].

بهذا اللطف والأدب في الحوار يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يرشده إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه؛ وهو يتجنب إليه ويتجنب أي أسلوب يؤذي نفسية والده.

٣ - تربيته على الدعاء والاتجاه إليه:

ويظهر أثر هذه التربية الربانية جلياً في كثرة الأدعية التي وردت في القرآن على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك: دعائه عندما تطلعت نفسه للولد، حيث دعا ربه بأن يرزقه الذرية الصالحة بقوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. ودعائه عند بناء الكعبة دعا له ولذريته، وملكة وأهلها ولكل من جاء بعده، فقال: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۗ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۗ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

وكما في دعائه عندما ترك زوجته وابنه فقد كان دعاءه: ﴿ رَبَّنَا

إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَيْرٍ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ
مِنَ الشَّعِيرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا
نُعْلِنُ وَمَا نُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي
لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا
وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴿إبراهيم: ٣٧﴾.

وكذلك في دعائه بعد محاولة دلالة والده على التوحيد: ﴿رَبِّ هَبْ
لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٣٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي
الْآخِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٣٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِهِ وَكَانَ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٧].

٤ - تربيته على الإيمان بأنه لا يمسه إلا ما كتب له:

فقد ربي الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام على أنه لا
يمسه إلا ما كتبه الله، وأن نواميس الكون تتغير لعباد الله الصالحين
ولن يخذل الله عباده، كما في نجاته من النار.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾
[الأنبياء: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْغَجْرِ ﴿٩٧﴾
فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ [الصافات: ٩٧ - ٩٨].

٥ - تربيته إدراك النعمة وعلى حمد الله وشكره على نعمه:

قال تعالى واصفا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ شَاكِرًا
لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ [النحل: ١٢١] أي قائماً بشكر
نعم الله عليه، "أي قائماً بشكر نعم الله عليه، مستعملاً لها على الوجه الذي



ينبغي، كقوله تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به^(١).

ويتضح أثر هذه التربية الربانية من خلال حمده ربه على نعمة الذرية، والثناء على الله بأنه سميع الدعاء وذلك في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] "فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: لقريب الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يجيب رجائي"^(٢).

"ويذكر إبراهيم نعمة الله عليه من قبل فيلهج لسانه بالحمد والشكر شأن العبد الصالح يذكر فيشكر، فالله وهبه الذرية على الكبر وهذا أوقع في النفس. فالذرية امتداد. وما أجل الإنعام به عند شعور الفرد بقرب النهاية، وحاجته النفسية الفطرية إلى الامتداد. وإن إبراهيم ليحمد الله، ويطمع في رحمته".

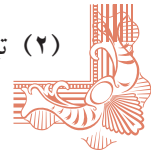
٦ - تربيته على التواضع وطلب قبول العمل وعدم الإعجاب بالنفس

وبالعمل:

وتظهر ثمرة هذه التربية في مواقف منها:
قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨]. "أي عملنا بفضلك ولا ترده علينا، إشعاراً بالاعتراف بالتقصير

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٤٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٢٧.





لحقارة العبد وإن اجتهد في جنب عظمة مولاه^(١). "إنه طلب القبول.. هذه هي الغاية.. فهو عمل خالص لله. الاتجاه به في قنوت وخشوع إلى الله. والغاية المرتجاة من ورائه هي الرضى والقبول.. والرجاء في قبوله متعلق بأن الله سميع للدعاء. عليم بما وراءه من النية والشعور".

"هذا الدعاء استتابه لما فرط من التقصير. فإن العبد، وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه إما على سبيل السهو والنسيان، أو على سبيل ترك الأولى، فالدعاء منها، عليها السلام، لأجل ذلك"^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] "فهو لا يرى نفسه، وهو يخشى أن تكون له خطيئة، وهو لا يعتمد على عمله، ولا يرى أنه يستحق بعمله شيئاً، إلا أنه يطمع في فضل ربه، ويرجو رحمته، وهذا وحده هو الذي يطمعه في العفو والمغفرة.. إنه شعور التقوى، وشعور الأدب، وشعور التحرج وهو الشعور الصحيح بقيمة نعمة الله وهي عظمة عظيمة، وقيمة عمل العبد وهو ضئيل ضئيل".

وقد "أسند الخطيئة إليه هضماً لنفسه وتواضعاً لربه، أي تقصيري عن أن أقدره حق قدره، فإن الضعيف عاجز لا يبلغ كل ما ينبغي من خدمة العلي الكبير، وما فعله فهو بإقداره سبحانه فلا صنع له في الحقيقة أصلاً"^(٣).

(١) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٤٢.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٣٩٨.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٦٩.





وكذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، فقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ فيه التواضع! والتخرج! والإشفاق من التقصير! والخوف من تقلب القلوب! والحرص على اللحاق بال صالحين! بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بال صالحين!

وكذلك في قوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام ٨٠] "فإبراهيم في عمق إيمانه، واستسلام وجدانه، لا يريد أن يجزم بشيء إلا مرتكنا إلى مشيئة الله الطليقة، وإلى علم الله الشامل، فيكل إلى مشيئة الله حمايته ورعايته ويعلن أنه لا يخاف من آهتهم شيئاً، لأنه يركن إلى حماية الله ورعايته. ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما شاءه الله، ووسعه علمه الذي يسع كل شيء..".

٧ - تربية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام على خلق العلم:

وصف الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ [هود: ٧٥] "أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين"^(١).

والحلم: ضبط النفس والطبع عن الهيجان عند الاستشارة^(٢)، والحليم "أي غير عجول على الانتقام من المسيء"^(٣). ولم يصل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى هذا الخلق لولا توفيق الله له

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٨٦.

(٢) الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، لعبد العليم إبراهيم ١/ ٩٩.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١١٧.





وتعليمه، ولأن الداعية يحتاج إلى مثل هذا الخلق في دعوته، وقد برز أثر هذا الخلق في موقفه من مقالة أبيه: ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] بعدما دعاه بأسلوب مهذب، حيث قابل إبراهيم مقالة أبيه بكل حلم فقال: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

٨ - تربيته على خشية الله والتوبة إليه:

وصف الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، ﴿أَوَّاهٌ﴾ أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿مُنِيبٌ﴾ أي: رجّاع إلى الله بمعرفته ومحبته، والإقبال عليه، والإعراض عنمن سواه^(١). فالأواه "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ أَي كَثِيرُ التَّوَاهُ مِنْ فِرطِ الرَّحْمَةِ، وَرَقَّةُ الْقَلْبِ"^(٢).

٩ - تربيته على الكرم والسخاء:

ومن آثار تلك التربية قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلِّمْ قَوْمٌ مُتَّكِرُونَ [٢٥] فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ [٢٦] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧]. فإبراهيم عليه الصلاة والسلام: "انسل بخفية وسرعة، وذلك من حسن ضيافته. لم يقل: انتظروا آتي لكم بالطعام. ولم يقم متباطئاً كأننا يدفع دفعاً، وإنما قام بسرعة منسلاً، لثلا يقوموا إذا رأوه ذهب إلى أهله، فكأنه أخفى الأمر عنهم، ولم يجعله بعيداً، ويقول: قوموا إلى طعامكم، بل خدمهم حتى جعله بين أيديهم، وقربه إليهم. ولم يقل: كلوا. إنما عرضه عليهم عرضاً، لأن هذا أبلغ في الإكرام، والعرض أخف

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٨٦.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٥/٥١٥.





وأطف من الأمر، إذ إنه لو قال: كلوا. كان يحتمل أنه أراد أن يستعلي عليهم ويوجه الأمر إليهم" (١).

١٠ - تربيته على الشجاعة:

ربى الله نبيه إبراهيم على خلق الشجاعة، وبرز أثر على الخلق في مواقف كثيرة منها:

عندما واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم فقال مقسماً: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وقوله لهم: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

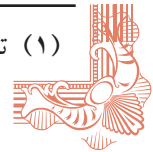
وعند مواجهته عليه الصلاة والسلام للنمرود ومحاجمته له قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكان ذلك لعلم إبراهيم بأن معه القوة التي لا تهزم، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فرسم للدعاة منهجاً في الشجاعة المنضبطة بضوابط الشرع بلا تهور يحتذونه في مواجهة الباطل من إقرار الحق.

١١ - سلامة القلب:

لقد مدح الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بسلامة القلب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٣ - ٨٤] "أي أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم عن النقائص والآفات، محافظ

(١) تفسير ابن عثيمين - جزء الذاريات - ص ١٣٥.





على عهد التوحيد الفطريّ، منكر على من غير وبدل^(١).
"وإذا كان قلب العبد سليماً، سلم من كل شر، وحصل له كل
خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسداهم، وغير ذلك
من مساوئ الأخلاق، ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه"^(٢).

المطلب الرابع الرعاية التربوية

على السمع والطاعة المطلقة^(٣)

فقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله:
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٠] والقنوت:
لزوم الطاعة والمداومة على العبادة مع الخضوع^(٤)، فكان إبراهيم
عليه الصلاة والسلام ملازماً لطاعة الله على كل حال، ويظهر أثر
تلك التربية ذلك في موقفين:

الموقف الأول: الاستسلام لله عندما أمره بذبح ابنه:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا بَلَعُ مَعَهُ أَسَعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِيَّيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ
أَنِّي أَدْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَأْتِبُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢١٥/٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٠٥.

(٣) هذا الأمر داخل في الرعاية التربوية، ولكن لأهميته تم إبرازه في هذا المطلب
لأهميته لطلاب العلم ولكي يعيه القائمون على رعاية طلاب العلم في
رعايتهم لما له الأثر الكبير في حياتهم ودينهم.

(٤) النكت والعيون للماوردي ٢١٩/٣.





شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ
يَتَابِرْهِيمُ ﴿١٠٤﴾ فَذَصَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُمِينُ ﴿١٠٦﴾ [الصفات: ١٠٢-١٠٦].

نقف هنا وقفه تأمل لهذا الاستسلام العظيم الذي لا تملك الأقلام تصويره إلا كما يصوره رب العالمين في كتابه، نقف وقفه في ظلال هذه الآيات وقفه إعزاز وإكبار لهذه التربية الإيمانية العظيمة التي جعلت إبراهيم عليه الصلاة والسلام يصل إلى هذه الدرجة العالية من الطاعة والاستسلام.

لله ما أروع الإيمان والطاعة والتسليم! فإبراهيم شاب عمره ثم يُرزق في كبره بسلام طالما تطلّع إليه.

ولما رُزقه كان غلاماً متميزاً يشهد له ربه بأنه حلِيم. وما يكاد يأنس به، وصباه يشبُّ؛ فيبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة.. ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد؛ حتى يرى في منامه أنه يذبحه!!.. ويدرك أنها أمر من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لا يتردد، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم.. نعم إنها مجرد رؤيا. ولكنها وحي من ربه؛ وهذا يكفي ليلبي ويستجيب، ودون أن يعترض، ودون أن يسأل ربه؛ لماذا يا رب أذبح ابني الوحيد؟!

فهو لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب.. كلا إنها هو القبول والرضا والطمأنينة والهدوء، يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب: ﴿قَالَ يَبْنَؤِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ

مَاذَا تَرَى﴾.





فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه،
الواثق بأنه يؤدي واجبه.

وإنَّ الأمر شاقٌّ؛ وما في ذلك شك.. إذ يُطلب إليه أن يتولى
هو بيده ذبحه.. وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقيني، ويعرض
على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه
رأيه! إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ أمر ربه.

ويخطو إلى التنفيذ: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾. هنا يرتفع
نبل الطاعة، ويعظم الإيثار. فهو طمأنينة الرضا وراء كل ما
تعارف عليه بنو الإنسان، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً.
لقد أسلما.. فهذا هو الإسلام؛ إذ كلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه
المشاعر التي لا يصنعها غير الإيثار العظيم، وعلم الله من إبراهيم
وإسماعيل صدقهما، فاعتبرهما قد أدباً وحقاً وصدقاً: ﴿ وَنَدَيْتُهُ
أَنْ يَتَّبِعْهُ ۖ قَالَ أَتَبِعُكَ مَا مَلَكَتْ أَيْدِي ۚ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُتَّبِعِينَ ۗ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ..

"قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلاً. فالله لا يريد إلا الإسلام
والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن
أمره أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد".

الموقف الثاني: تركه لزوجته وابنه في مكة:

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي
إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

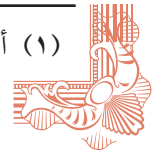




عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "جاء إبراهيم بهاجر وابنها إسماعيل،
عليهما السلام، وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحه
فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء
فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم
قضى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، منطلقاً. فتبعته أم إسماعيل
فقلت: يا إبراهيم، أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس
فيه إنس ولا شيء؟ فقلت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها.
فقلت الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت.
فانطلقت إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، حتى إذا كان عند الثنية
حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات،
ورفع يديه، قال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي
زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧)

[إبراهيم: ٣٧]"^(١).

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف يظهر منه التربية
على الاستسلام لله تعالى، وأن هذا الاستسلام لا يأتي إلا بخير،
وخصوصاً إذا علمنا موقف هاجر وزمزم؛ وإنجاء الله لها وابنها
من العطش، فكل هذا نتاج تربية من الله لإبراهيم عليه الصلاة
والسلام على الاستسلام.





المطلب الخامس

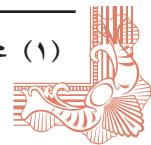
الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

ظهرت رعاية الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في عدد من المواقف التي تشهد بهذه الرعاية الربانية، نجملها في النقاط التالية:

١ - جعله الله تعالى باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه:

فقد حرص إبراهيم عليه الصلاة والسلام على هداية والده بأسلوب لين سهل، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) [مريم: ٤١ - ٤٥].

"لقد سلك عليه الصلاة والسلام في دعوته أحسن منهاج، وأقوم سبيل. واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل. لئلا يركب متن المكابرة والعناد. ولا ينكب، بالكلية، عن محجة الرشاد.. حتى أنه لم يخل تخويفه سوء العاقبة من حسن الأدب، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له، وأن العذاب لا يصق به، ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب" (١).





ولكن والده قابل ذلك بالجفوة والقسوة عليه في الكلام، ﴿قَالَ
أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ
وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] "ب هذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى
الهدى. وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب. وذلك شأن الإيمان
مع الكفر وشأن القلب الذي هذبه الإيمان والقلب الذي أفسده الكفر".
ولكنه من بره لأبيه جاء رده وحرصه عليه وعلى هدايته: ﴿قَالَ سَلِّمْ
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

٢ - رزقه الله ابناً باراً يطيعه ويساعده:

وهذا الجزاء من جنس العمل، فقد عوض الله إبراهيم عليه
الصلاة والسلام عن أبيه خيراً، بأن رزقه ابناً صالحاً باراً، فمن بره
بأبيه أنه كان يساعده في بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

واستجاب له في أمر الذبح عندما قال له: ﴿يَبْنِي إِنِّي أَرَى
فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ ﴿فرد إسماعيل الابن البار
على أبيه مباشرة: ﴿يَتَأْتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وكذلك أطاعه عندما أمره أن يطلق زوجته فقد أخرج البخاري
في قصة إبراهيم: ((... فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع
تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم
سألها عن عيشتهم وهيئتهم. فقالت: نحن بشرٌ نحن في ضيقٍ وشدةٍ

فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه الصلاة والسلام





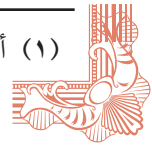
وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته: أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم. أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه. قالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. قالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك في اللحم والماء: - ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه - قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه الصلاة والسلام ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة. وأثنت عليه. فسألني عنك فأخبرته. فسألني: كيف عيشنا. فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك))^(١).

٣ - أشبع الله تعالى له رغبة الأبوة رحمة منه سبحانه:

فقد رزقه الله على الكبر في السن مع عقم الزوجة أبناء صالحين، ورثوا علمه ودعوته، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم ٣٩].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب يزون برقم (٣١٨٤).





وقال تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَيَّ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

٤ - حفظ الله لأسرته:

وذلك عندما ترك زوجته وابنه إسماعيل في مكة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم ٣٧]. وكذلك عندما أراد أحد الحكّام أن يعتدي على زوجته سارة^(١). وكذلك عندما فدى الله له ابنه من القتل، ذلك عندما أمره الله أن يذبح ابنه، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات ١٠٧]. "فالله لا يريد أن يعذب النفوس ولا يؤذيها بالابتلاء، إنما يريد أن تأتيه طاعة ملبية وافية مؤدية. مستسلمة لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام. واحتسبها لها وفاء وأداء. وقبل منها وفداها. وأكرمها كما أكرم أباه".

٥ - رعاية الله له في صلاح أولاده وأن تكون النبوة فيهم:

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٥ - ٤٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ

(١) القصة أخرجها كاملة البخاري كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعقته (٢١٠٤) و(٢٤٩٢، ٣١٧٩، ٤٧٩٦، ٦٥٥٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (٢٣٧١)..





دُونَ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ [مريم: ٤٩].
"وإنما اقتصر على ذكر إسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل،
لأن إبراهيم لما اعتزل قومه خرج بزوجه سارة قريبته، فهي قد
اعتزلت قومها أيضاً إرضاءً لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة
لإبراهيم ولزوجه، وهي أن وهب لهما إسحاق وبعده يعقوب؛ ولأن
هذه الموهبة لما كانت كفاءً لإبراهيم على مفارقتها أباه وقومه كانت
موهبةً من يعاشر إبراهيم ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب" (١).

وقال تعالى في موضع آخر، يقول تعالى منبها إلى هذه الأمر من
الرعاية: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا
صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا
لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢ - ٧٣].

"لقد ترك إبراهيم عليه الصلاة والسلام ووطنا وأهلا وقوما. فعوضه
الله الأرض المباركة ووطنا خيرا من وطنه. وعوضه ابنه إسحاق وحفيده
يعقوب أهلا خيرا من أهله. وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قوما
خيرا من قومه. وجعل من نسله أئمة يهدون الناس بأمر الله".

٦ - تربية إسماعيل بطريقة غير مباشرة عن طريق أمه:

تعلم إسماعيل عليه الصلاة والسلام من أمه الإيجابية والجدية
وعدم اليأس في طلب الرزق، وذلك عندما كانت أمه تسعى بين
الصفاء والمروة تبحث عن ماء في أرض لا يوجد بها ماء، ولكنها لم






تأيأس، ففجر الله تعالى من تحته ماء زمزم حتى أصبح هذا درس للبشرية كلها وليس لإسماعيل عليه الصلاة والسلام فقط^(١).

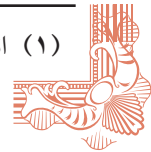
٧ - بشارته بولده إسحاق وحفيده يعقوب وصلاحهم ونبوتهم:

كما بشر الله تعالى إبراهيم بإسماعيل، بشره كذلك بإسحاق وأنه سيكون له ذرية من الأنبياء، وهذا من أعظم البشريات أن يعرف الرجل انه سيكون له أبناء وأحفاداً ولن ينقطع عقبه، وستكون الفرحة أكثر عندما يعلم أن هؤلاء الأبناء صالحين ومصلحين بل وأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾
﴿وَلَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٢ - ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤]. وقال تعالى:
﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رِثًا يَلْبَسُ بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ
يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقال تعالى:
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

٨ - صلاح زوجاته عليه الصلاة والسلام:

من نعم الله تعالى على إبراهيم ورعايته له أن أصلح له زوجته هاجر وسارة ، فقد كانتا خير عون له على دعوته ولم تكونا حجر عثرة في طريق دعوته وتبليغ دين الله تعالى، بل كانتا مثبتتين له عند الشدائد تتحملان عبء التكليف معه.





ويظهر هذا في قول هاجر لإبراهيم قبل أن ينصرف، عندما تركها في مكة مع ولدها إسماعيل في مكان ليس فيه ماء ولا زرع، قالت له: "الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا"^(١).
نعم. إن صلاح الزوجة، من أكبر النعم التي ينعم الله بها على أي مسلم والداعية خصوصا.

وهذه الأمور التي رعى الله تعالى فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ هي رعاية لأبنائه كذلك؛ فإسماعيل عندما يرى والده قد مر بذلك التأهيل والرعاية من الله، فذلك تربية له أيضا، وما كان من رعاية الله لوالده من الناحية الأسرية فإن ذلك رعاية لإسماعيل وإسحاق ويعقوب لأنهم من ذرية إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} (٣٣٦٤).





المبحث الثالث

رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وأمهما

موسى عليه الصلاة والسلام من الأنبياء الذين نص الله على رعايتهم، قال تعالى: ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه ٣٩]. "كيف يصف لسان بشري، خلقاً يصنع على عين الله؟ إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية. فكيف بمن يصنع صنعا على عين الله؟".

ويمكن محاولة بيان رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

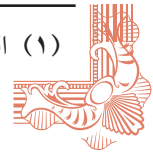
رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال أمه

ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

١ - رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال إرضاع أمه له

وعنايتها به:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص ٧]
"وإنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بُنيته بلبان أمه فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها، وليكون له من الرضاعة الأخيرة قبل إلقائه في اليمّ قوت يشد بنيته فيما بين قذفه في اليم وبين التقاط آل فرعون إياه وإيصاله إلى بيت فرعون"^(١).



٢ - إنجائه من القتل وهو صغير بالوحي إلى أمه أن تقذفه في اليم:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص ٧]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ ﴾ [طه ٣٨ - ٣٩].
وهذا والله التسليم للشريعة! ألقته دون أن تسأل عن الحكمة مع شدة غرابة الأمر! ^(١). "إشارة إلى الثقة بالله، والثقة بسواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم" ^(٢).
وهنا تظهر عناية الله تعالى بأمه وتربيته لها حتى وصلت إلى هذا المقام. نعم "إنه هنا.. في اليم.. في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها، اليد التي لا خوف معها. اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها. اليد التي تجعل النار بردا وسلاما، وتجعل البحر ملجأ ومناما".

٣ - رعاية الله تعالى لموسى بالثبوت لأمه:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ [طه ٣٧ - ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ۖ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٠﴾ [القصص: ١٠].

(١) من تديرات الشيخ ابن قاسم - مجموعة ليدبروا آياته.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٤٥٦/٥.



"فمن حسن تدبير الله تعالى ورعايته لموسى وأمه، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقته أمه قلقا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تجر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا"^(١).

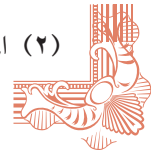
٤ - رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام برده إلى أمه:

أمرت أم موسى عليه الصلاة والسلام أخته أن تحاول أن تعرف أي معلومة عن أخيها، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [١١]، أي: "أبصرته على وجه كأنها مارة لا قصد لها فيه، وهذا من تمام الحزم والحذر؛ فإنها لو أبصرته وجاءت إليهم قاصدة لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه عقوبة لأهله"^(٢). وهذا كذلك جانب من الرعاية حيث ألهم الله أم موسى وأخته الحيلة والحذر والذكاء في هذا الموقف.

وجاءت أخت موسى: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴾ [١٢] فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿ [القصص ١٢ - ١٣]. وهنا لم تصرح أخته

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٥.

(٢) المصدر السابق ٦١٣.





بأنها أخته أو أنها تعرفه، بل أخبرت أنها تعرف أهل بيت قادرين على التعامل مع مثل حالته، فقد حرم الله المراضع على موسى "تحريراً قديراً، وذلك لكرامته عند الله وصيانتة له أن يرتضع غير ثدي أمه"^(١).

"فأقر الله عينها برجوعه إليها. وانتفاء حزنها بتحقيق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى"^(٢).

"ما أعظمها من منحة إلهية لأمتة المؤمنة إذ جعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج. وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء؛ ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول، إنها مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، ورحمة مولاه اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال".

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٣٦٨.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦ / ٢١٩.





المطلب الثاني

رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام رعاية خاصة

يظهر هذا في التصريح في القرآن برعاية الله لموسى وذلك من خلال ما يأتي:

١ - تصريح الله بحبه لموسى:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه ٣٩] "أي: واقعة مني، زرعتها في قلب من يراك. ولذلك أحبك فرعون" (١). "ما أعظمها من منحة إلهية لأمتة المؤمنة إذ جعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج. وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء؛ ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول، إنها مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، ورحمة مولاه اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال".

٢ - تصريح الله بأنه صنعه على عينه:

قال تعالى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه ٣٩] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، غذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة" (٢).

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٧ / ١٥٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥ / ٢٨٤.





والمعنى: "ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاعتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى"^(١).

"وذلك عند فرعون عدوك وعدوي وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع. ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر لأني ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه ٣٩] ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني. ولم أحطك في قصر فرعون بالرعاية والحماية وأدع أمك في بيتها للقلق؛ بل جمعتك بها وجمعتها بك."

٣ - صناعة موسى خالصاً لله:

قال تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] "أي: أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيبا مختصا، وتبلغ في ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه، واصطفاه من خلقه؟"^(٢).

"يقال: اصطنع الأمير فلانا لنفسه، أي جعله محلا لإكرامه باختياره وتقريبه منه، بجعله من خواص نفسه وندمائه، فاستعير استعارة تمثيلية من ذلك المعنى المشبه به إلى المشبه. وهو جعله نبيا مكرما كليما منعما عليه بجلال النعم"^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٠٤.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧ / ١٢٦.





٤ - اصطفاء الله لموسى بالرسالة والكلام:

صرح الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام أنه اصطفاه بالرسالة وخصه بالكلام، قال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. "أي: اخترتك واجتبيتك وفضلتك وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿بِرِسَالَتِي﴾ التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق، ﴿وَبِكَلِمِي﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين" (١).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٥ - كان مقرباً من الله:

فقد وصف الله رسوله موسى عليه الصفات بصفة جليلة، وهي القرب منه سبحانه. فقال عز وجل: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]. "أي: "وأدنيه من مناجيا" (٢)، وقال الماوردي: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قربه من الموضوع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه. الثاني: أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة. الثالث: أنه قربه تقرب كرامة واصطفاء لا تقرب اجتذاب وإدناء" (٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٠٢.

(٢) جامع البيان للطبري ١٨/٢١٠.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٣/٣٧٦.



**٦ - كانت له الوجاهة عند الله تعالى:**

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. "أي له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوجهه الله إليه من الشريعة، ويُنزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم"^(١).

المطلب الثالث**الرعاية التربوية لموسى عليه الصلاة والسلام**

يمكن إجمال بعض معالم رعاية الله تعالى لموسى والتي تحمل بعداً تربوياً في النقاط التالية:

١ - أمر الله سبحانه وتعالى لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة:

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

فقوله: ﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾ "أي بعزم على العمل بما فيها"^(٢) و"بجد واجتهاد على إقامتها"^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٣.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٥/١٨٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٠٢.





فمن رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام أن حثه وأمره ووجهه بأن يأخذ الكتاب والعلم الذي فيه بقوة، ولا يتوانى أو يكسل عن حفظه وفهمه وتبليغه، وتنبهاً لموسى عليه الصلاة والسلام أن الأمر ليس سهلاً ولكنه مليء بالصعوبات فيجب التمسك بمنهج الله وبالعلم الذي يوحى إليه.

٢ - تربيته على طلب العلم:

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ((بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجلٌ فقال هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى: بلي عبدنا خضر، فسأل السبيل إلى لقيه...))^(١).
فقد أتى الله موسى عليه الصلاة والسلام علماً ونبوة ورسالة، ولكنه برغم ذلك كان يجب أن يتعلم ما لا يعلم. فلما أخبره الله أن هناك من هو أعلم منه، رحل إليه طالبا للعلم الذي عنده. بكل تواضع. قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ^(٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ^(٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ^(٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ^(٦٩).
[الكهف ٦٥ - ٦٩]. فانظر كيف صار تابِعاً لهذا العبد الصالح كي يتعلم منه العلم النافع.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام في البحر إلى الخضر (٧٤) وباب الخروج في طلب العلم (٧٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه الصلاة والسلام (٢٣٨٠).





٣ - تربية الله تعالى لموسى على الشكر:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي
وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف ١١٤].
"فأما أمر الله تعالى لموسى بأخذ ما آتاه، والشكر على الاصطفاء والعتاء،
فهو أمر التعليم والتوجيه لما ينبغي أن تقابل به نعمة الله. والرسول
صلوات الله وسلامه عليهم قدوة للناس وللناس فيهم أسوة وعلى
الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والشكر استزادة من النعمة
وإصلاحاً للقلب وتحرزاً من البطر واتصالاً بالله".

٤ - تربيته على الحياء:

فقد ربي الله تعالى موسى على خلق الحياء، فكان موسى عليه
الصلاة والسلام حياء ستيرا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا
لَّا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ))^(١).

٥ - تربيته على الصبر:

أوذى موسى عليه الصلاة والسلام أذى شديداً من فرعون
وقومه فصبر على ذلك، كما أخبرنا نبينا ﷺ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حَنِينَ، أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسَا
فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى
عليهما السلام (٣٢٢٣).





مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشرف العرب فأثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته، فأخبرته، فقال: ((فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر))^(١).

وكذلك صبر على بني إسرائيل وعلى عنادهم وتعنتهم واعتراضهم ومعصيتهم كما حكى القرآن الكريم من قصصهم الشيء الكثير.

٦ - تربيته على التواضع لله تعالى:

ويظهر أثر هذه التربية في موقفين:

الأول: عندما تم العقد بينه وبين الرجل الصالح في مدين قال له: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص ٢٧]، "قصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا من تزكية النفس المنهية عنه، لأن المنهية عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فأما ما كان لغرض في الدين أو المعاملة فذلك حاصل لداع حسن"^(٢). وهذا "أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله. فهو لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين. ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله".

الثاني: عندما أراد طلب العلم عند الخضر، وبين له الخضر أنه لن يستطيع الصبر مع بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف ٦٧].

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفه قلوبهم وغيرهم (٢٩٣٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٩/٢٠.





هنا قال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩]، ف"قوى تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعلمه بصعوبة الأمر ليعلم أنه منهاج الأنبياء وسبيل الرسل" (١)، "يعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين الله، ويقدم مشيئته".

٧ - تربيته على أدب التواضع لأهل الفضل:

وهذا ظاهر في تواضعه للخضر والحديث معه بأدب طالب العلم، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥] قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ [الكهف: ٦٥ - ٦٩].

"قال القاضي: وقد راعي في ذلك غاية التواضع والأدب. فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعا له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه، بتعليم بعض ما أنعم الله عليه. أي وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم" (٢).

يقول الشيخ السعدي: "التأدب مع المعلم، وخطابه باللفظ خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم" (٣).

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٤٩٢.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٤٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٢.





٨ - تربيته على إظهار الافتقار إلى الله:

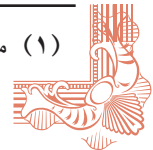
ويظهر هذا في قصته عندما دخل مدين، فعلي رغم ما أعطاه الله لموسى عليه الصلاة والسلام من قوة البدن، إلا أنه كان مفتقراً لله. قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص ٢٤]. فمن أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم يتوجهون إلى الله أولاً بفقرهم وذلتهم له ولا يطلبون حاجتهم من الله تعالى مباشرة حتى في وقت الحاجة الشديدة. وفي هذا "إشارة إلى سبب من أسباب إجابة الدعاء، وهو إعلان الافتقار إلى الله، وإظهار المسكنة إليه"^(١).

وكذلك عندما رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة، حيق قال موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة ٢٥]. "دعوة فيها الأمل. وفيها الالتجاء. وفيها الاستسلام. وفيها - بعد ذلك - المفاصلة والحسم والتصميم! وإنه ليعلم أن ربه يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه.. ولكن موسى في ضعف الإنسان المخذول. وفي إيمان النبي الكليم. وفي عزم المؤمن المستقيم، لا يجد متوجهاً إلا الله. يشكو له بثه ونجواه، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين".

٩ - تربيته على الدعاء وكثرة الذكر:

فقد وجه الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بكثرة ذكره ودعائه، فقال تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ [طه ٤٢]، "يقول: ولا تضعفا في أن تذكرا في أمرتكما ونهيتكما، فإن

(١) من تديرات د. محمد الربيعة - مجموعة ليدبروا آياته.



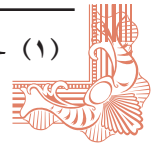


ذكر كما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتما،
ذكرتما مني عليكما نعمًا جمّة، ومننا لا تحصى كثرة^(١). "ولا تنيا في ذكري
فهو عدتكما وسلاحكما وسندكما الذي تأويان منه إلى ركن شديد".
ومن التطبيق العملي من موسى عليه الصلاة والسلام لهذه
التربية في عدد من المواقف منها:

عندما خرج من مصر خائفًا من بطش فرعون وتوجه إلى مدين،
دعا الله كما قال تعالى: ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ
يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص ٢١ - ٢٢]. ثم لما سقى للمرأتين
توجه لربه يدعوهُ بقوله: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ
إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص ٢٤].

وعندما أمره الله أن يذهب لفرعون لدعوته واستنقاذ بني
إسرائيل، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي
﴿٢٩﴾ هَٰزُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٥ - ٣٥].

وعندما اهتز الجبل به وببني إسرائيل الذين اختارهم، قال
تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلَّ





السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ
أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

عن محمد بن إسحاق قال: "لما رجع موسى إلى قومه، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل اختار موسى منهم سبعين رجلاً الخيِّراً فالخيِّر، وقال: انطلقوا إلى الله عز وجل، فتوبوا إليه مما صنعتم.." (١).

وما حصل بينه وبين أخيه هارون دعاه له ولأخيه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

وعندما رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٥].

١٠ - تربيته على الثقة بالله وحسن التوكل عليه:

فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام أمراً مباشراً بحسن الظن وعدم اليأس، بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ. يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] أي: "أذهباً إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار، وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون. ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه. والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم. وهو عالم بأنه سيكون".

(١) جامع البيان للطبري ٢/٨٦ - ٨٧ (٩٥٧)، وتاريخ الأمم والملوك للطبري





فقوله: ﴿لَعَلَّهُ﴾ قال القاضي: "أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما. فإن الراجي، مجتهد والأيس متكلف" (١).

وتظهر ثمرة هذه التربية في موقفه: عندما اشتكى له قومه بقوله:
﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ فرد عليهم
بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ١٢٩].

وعندما حاصرهم فرعون من خلفهم وكان البحر من أمامهم، قال
تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء ٦١ - ٦٢].

وعندما طلب من قومه دخول الأرض المقدسة، ورفضوا قال
لهم: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ١٢٨].

١١ - الاعتراف بالخطأ والرجوع للحق:

ظهر أثر هذه التربية في ندمه على قتل القبطي، وطلب من الله
المغفرة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ
فِيهَا رَجُلَيْنِ يَتَتَبَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي
مِنْ شِيعِنِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ



لِي فَغَفَرَلَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص: ١٥ - ١٧].

كما تجلت التربية بالاعتراف بالخطأ والرجوع للحق عندما أظهر
له هارون عليه الصلاة والسلام حجته في تركه لبني إسرائيل لكي
لا يتفرقوا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ
بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ [الأعراف: ١٥٠ - ١٥١].

وجاء في آية أخرى إنه طلب من ربه عز وجل ربه أن يراه، قال
تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ
أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَٰكِن نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ
فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ
جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ
تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وختاماً يظهر موقف هذه التربية من خلال موقفه مع الخضر،
عندما أكثر على الخضر في الإنكار على ما يفعل مع أنه أخذ العهد على
نفسه بعدم السؤال، ففي الاستنكار الأول قال الله تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٧٦﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ ﴿٧٧﴾ [الكهف: ٧٢ - ٧٣].



وفي الاستنكار الأول قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) [الكهف: ٧٥ - ٧٦].

١٢ - تربيته على نخوة الرجولة والفضيلة تجاه النساء والضعفاء:

ويتضح ذلك في عدد من النماذج القرآنية ومنها:

نصرته للذي من شيعته لما ظلمه القبطي، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالِ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١٥) [القصص: ١٥].

وسقيه للفتاتين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص ٢٣ - ٢٤]. وهذا "يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت على عين الله. كما يشي بقوته التي ترهب حتى وهو في إعياء السفر الطويل. ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه. فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب".

وزهابه لفرعون لاستنقاذ بني اسرائيل المظلومين من فرعون، وملئه، فقد أمر الله تعالى موسى وهارون بذلك في قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (٤٧) [طه: ٤٧].



ونفذ عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ فِي رَسُولٍ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَةَ مَن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥]، فقد قال موسى لفرعون في أدب واعتزاز إني رسول من رب العالمين، فأطلق بني إسرائيل من أسرك وأعتقهم من رقك وقهرك، ودعهم ليؤمنوا معي برهم ويخرجوا أحرارا من تحت قهرك ليذهبوا معي إلى دار سوى دارك. وإنكاره على الخضر خرق السفينة، قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الكهف: ٧١] "يدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار، الالتهاب والحمية للحق فقد قال حين خرق السفينة أَخَرَقْتُهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا، ولم يقل «لنغرقتنا» فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول «نفسي نفسي» لا يلوي على مال ولا ولد. وتلك حالة الغرق. فسبحان من جَبَل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم" (١).

وكذلك إنكاره على الخضر قتل الغلام، قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف: ٧٤].

١٣ - التربية على الشجاعة وعدم الخوف:

حيث قال الله له في أول أمر التكليف بالنبوة والرسالة: ﴿ لَا

تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠].

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٥٤ / ٧.



أي: "لحفظي لهم وعنايتي بهم وعصمتي إياهم مما يؤذيهم، إذ لا يتمكن من أداء الرسالة، ما لم يزل خوفه من المرسل إليه"^(١).
"هذه سبيل العلماء بالله عز وجل أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين، وهم أيضا لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشرار التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به"^(٢).

وعندما أمره بالذهاب لفرعون قال موسى لربه ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ فقال لهما الله تعالى: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه ٤٦]، "إذا كان الحافظ سميعا بصيرا، تمّ الحفظ والتأييد، وذهبت المبالاة بالعدو"^(٣).

وعند مناظرة السحرة وقذف عصيهم وسحرهم لأعين الناس، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ [طه ٦٧]، فأمره الله بأن لا يخف ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه ٦٨].

١٤ - تربيته على القوة والأمانة:

اعتنى الله تعالى بنبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وورقه قوة في الجسم والأمانة لكي يقوى على تحمل المشقة والمسؤولية التي ستلقى عليه.

وظهرت ثمرة هذه التربية والرعاية في قول ابنة الرجل الصالح: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرِّي إِنَّكِ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص ٢٦].

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٤٨٧/٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣٠/١٦.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ١٢٧/٧.





أي: "وإنما قالت ذلك لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجي نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى، وهذان الوصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً، بإجارة أو غيرها؛ فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما اجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل"^(١).

ويتضح أن هذا القول يدل على أنه "كلام حكيم جامع لا يزداد عليه. لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك"^(٢).

١٥ - تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عليه الصلاة والسلام بالمواقف:

تعد التربية العملية بالمواقف من أنجح طرق التربية، ولذا حظي موسى عليه الصلاة والسلام بمجموعة من المواقف التي رباه فيها ربه على بعض المفاهيم والسلوكيات المنهجية والعملية.

ومن ذلك تربيته بالموقف عندما طلب من الله أن يراه، فبين له ربه بالتجربة أنه لا قدرة له على ذلك في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٤٢)

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأعراف: ١٤٢-١٤٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦١٤.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٥١٩ / ٧.





قال له الله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ أي: "في الدنيا، ثم ضرب الله له مثلاً مما هو أقوى من بنيته وأثبت - وهو الجبل - فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي" (١)، ثم قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي ظهر ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد - أي: مدكوكا مستويا في الأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا﴾ مغشيا عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك ﴿تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من سؤالي ما لم أوامر به ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني" (٢).

ومن ذلك: تربيته بالموقف في رحلته للخضر لطلب العلم، فقد نبه الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام إلى أنه ليس أعلم الناس، فأمره بالرحلة للقاء الخضر ليتعلم منه أموراً لم يكن يعلمها موسى عليه الصلاة والسلام (٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إلى أن قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً (٦٦) [الكهف: ٦٥ - ٦٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٢٤٦.

(٢) تفسير الجلالين للسيوطي ٢١٣ بتصرف.

(٣) سيأتي بيان قصة موسى عليه الصلاة والسلام والخضر وفوائدها بالتفصيل في الفصل الثاني - المبحث الأول.





المطلب الرابع الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام في

أمرين:

أولاً: إزالة ما في صدر موسى عليه الصلاة والسلام من الخوف:

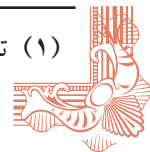
وذلك في عدة مواقف منها:

١ - عندما قتل القبطي خطأ:

لما قتل موسى عليه الصلاة والسلام القبطي ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
لِي فَغْفَرَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿ [القصص: ١٥ - ١٧].

فندم على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحملة
ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه حتى غفر الله له لإزالة
ما في قلبه من الخوف والرهبة من الله أولاً.

وكان هذا اختبار من الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام،
فعندما وقع في المشكلة "دعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر
هارباً لما سمع أن الملائم طلبوه، يريدون قتله. فنجاه الله من الغم من
عقوبة الذنب، ومن القتل، قال تعالى: ﴿ وَفَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠]
أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك مستقيماً في أحوالك أو نقلناك
في أحوالك، وأطوارك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه" (١).



واستجاب الله تعالى دعوته بأن سخر له ناصحاً ينصحه بالخروج من هذا المكان لكي لا يلحقه أذى قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

٢ - عند الطور:

قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ (١٧) ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ﴾ (١٨) ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَىٰ﴾ (١٩) ﴿فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ (٢٠) ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ (٢١) ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ (٢٢) ﴿لِّرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ (٢٣) [طه: ١٧ - ٢٣].

فموسى عليه الصلاة والسلام كان فيه من الخوف ما الله به عليم فطمأنه الله وهدأ من روعه، فدار هذا النقاش، ومن فوائده أن ينسى موسى هول الموقف، والله تعالى أعلم.

٣ - عند إرساله إلى فرعون:

عندما كلف الله موسى عليه الصلاة والسلام بدعوة فرعون بقوله: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٢٤) [طه ٢٤]، أوجس في نفسه خيفة من فرعون، وظهر هذا الخوف كذلك في دعائه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦) ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَقْفُوهَا قَوْلِي﴾ (٢٨) ﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ (٣٠) ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَىٰ﴾ (٣١) ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢) ﴿كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣) ﴿وَنَذُرَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٤) ﴿إِنَّكَ

كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه ٢٥ - ٣٥].

وظهر هذا في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤) [القصص ٣٣ - ٣٤].
وهنا أراد الله أن يطمئنه فقال له: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ [طه ٣٦]، وفصل ذلك بقوله: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتَمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ [القصص ٣٥].

ثم عدد الله عليه بعض النعم التي أنعم بها عليه منذ ولادته حتى نجاته من فرعون عندما قتل منهم نفسا ثم اصطفاه للنبوة، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرٰى ﴾ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مَّيُوحٰى ﴾ (٣٨) أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿ ٣٩ ﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمِيتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَى ﴿ ٤٠ ﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿ ٤١ ﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيٰتِنَا وَلَا نُبَيِّنُ فِي ذِكْرِي ﴿ ٤٢ ﴾ [القصص ٣٧ - ٤٢].

وبعد هذا التطمين أعاد الله عليه الأمر ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغٰى ﴾ (٤٤) [طه ٢٤] وهنا قال موسى وأخيه هارون: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغٰى ﴾ (٤٥) [طه: ٤٥] فقال له الله تعالى يطمئنها أشد تطمين: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرٰى ﴾ (٤٦) [طه: ٤٦]. وقال: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيٰتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ (٤٥) [الشعراء ١٥].



٤ - عند مناظرة السحرة:

وعند مناظرة السحرة وقذف عصيهم وسحرهم لأعين الناس، خاف موسى فقال الله ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [طه ٦٨] "فمعك الحق ومعهم الباطل. معك العقيدة ومعهم الحرفة. معك الإيمان بصدق ما أنت عليه، ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة. أنت متصل بالقوة الكبرى، وهم يخدمون مخلوقاً بشرياً فانياً مهما يكن طاغية جباراً".

ثانياً: رعايته النفسية بتوفير أسباب الحياة الطيبة من زوجة ومعاش**ومكان آمن:**

الزوجة هي سكن لزوجها قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم ٢١].

والأمن في الطعام والأمن في السكن مطلب مهم، ولذا امتن الله على قريش بهذا في قوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [٤] [قريش ٣ - ٤].

ولذا دعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه عندما وصل إلى مدين مطارداً وسقى للجاريتين بقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [٢٤] [القصص: ٢٤]. قال ابن عباس: "كان قد بلغ به الجوع ما بلغ، وإنه لأكرم الخلق يوماً على الله"^(١)، علق ابن عطية قائلاً: "وفي هذا معتبر، وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى!"^(٢).

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٨٩/٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٧٠، والثعالبي في الجواهر الحسان ٤/٢٦٨، ولم أقف عليه في كتب السنة.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١٨٩/٥.



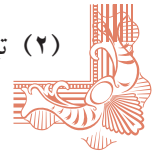


فاستجاب الله دعاء نبيه وهياً الله له رجلاً صالحاً أكرمهم، فاطمأن له موسى وقص عليه قصته، فطمأنه الرجل وبشره بأن الله تعالى نجاه من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص ٢٥]. فقبل أن يتحدث معه عن الأجر أو العمل أو الزواج بين له أنه آمن وقد نجا من الظالمين، لأنه "لما كان من المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما يحتاج إليه الإنسان الأمان، فقدم له التأمين"^(١).

ثم استجاب الله دعاء نبيه؛ ورزقه الزوجة الصالحة، والعمل الذي يتكسب منه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي خِيفٌ مِّنْ أَسْتَجِرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنِ اتَّمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن سَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٦ - ٢٨]. و"العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معرفته الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض"^(٢).

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤٧٨/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦١٩.





المطلب الخامس

الرعاية الدعوية لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام

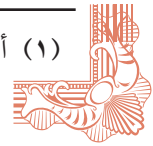
ويظهر ذلك في مواقف، منها:

أولاً: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام بإرسال أخيه هارون معينا له في الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم ٥٣]. وقال
تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص ٣٤ - ٣٥].

"فموسى عليه الصلاة والسلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه
هارون لأنه كما قال تعالى في بيان سبب ذلك الطلب: ﴿وَأَخِي
هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾" ومعنى رداء أي: وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمرى يصدقني
فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني
ملا يفهمون، فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره
من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جداً إذا ما
وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام
في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم
الكفاء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب
السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفاء
الأمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى" (١).

(١) أصول الدعوة الدكتور عبد الكريم زيدان ١٤ / ٢.



فالأخوة رحمة من رحمات الله " والاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقهم، فتمت المشاكلة في الاستعانة"^(١).

ثانياً: توجيهه موسى وأخيه إلى الأمر بتوحيد الله والتعريف بالله سبحانه:

ويظهر هذا التوجيه وهذه التربية بالربط بربوبية المرسل، ووحدانية الإله الحق في قوله: ﴿ فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه ٤٧]. وقوله: ﴿ فَأَيَّا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٦] "فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر. فهي حقيقة واحدة لا تحتمل التدرج والمداراة".

وظهر أثر هذا التوجيه من خلال دعوته لفرعون، حيث دعا موسى عليه الصلاة والسلام فرعون للإيمان بالله وحده، وعرفه أسماؤه وصفاته سبحانه، ومن هذا قوله لفرعون:

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِنَفِرْعَوْنَ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء ١٠٢]. وقوله: ﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فَزِدْهُ هُدًى ﴾ [طه ٥٠]. وقوله: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه ٩٨]. وقوله: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) ﴾ [الشعراء ٢٤ - ٢٨].

ومن ذلك قوله للسحرة الذين يريدون أن يخدعوا الناس
ويبعدهم عن التوحيد: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْقَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَيَسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه ٦١].

ويظهر كذلك في موقفه من قومه عندما عبدوا العجل من دون الله،
قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ
أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن
يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي﴾ [طه ٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ
بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ
ابْنُ أُمِّ إِيَّانَ الْقَوْمُ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يُقْتُلُونِي فَلَا تَشِمْتُم بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا
تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وكذلك موقفه مع من صنع العجل، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَا سَلِيمُ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ
سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ
أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ
إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ
لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه ٩٥ - ٩٨].

وكذلك عندما طلب منه قومه أن يتخذ لهم إلهًا، قال تعالى: ﴿وَجَوْرَنَا
يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ
أَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وكل هذه النماذج وغيرها تبين لنا أثر تربية الله له على التوحيد

والدعوة إليه، ومدى وعي موسى هذه القضية وشغله بها.



ثالثاً: توجيهه لموسى وأخيه هارون اللين في الدعوة:

لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون، وجهه أن يدعو باللين، فإن الملوك الظالمين أمثال فرعون لا يقبلون إلا لين الكلام معهم، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٢﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه ٤٢ - ٤٤]. "أمرهما بما ينبغي لكل أمر بالمعروف من الأخذ بالأحسن فالأحسن والأسهل فالأسهل" (١)، "لما كان اللين سبباً للتذكرة والخشية أمر بها لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه.. فالكلام المنفر لا يتوقع منه إجابة ولا إنابة والكلام اللين المرغوب يتوقع من كل من سمعه الإجابة الإنابة" (٢).

"والمقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. فإذا لم ينفع اللين مع المدعو وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه" (٣).

رابعاً: توجيهه لموسى وأخيه للدعوة بالقُدوة الحسنة:

من أعظم وأنفع وسائل الدعوة وأساليبها القدوة الحسنة، ولذا وجه الله نبيه موسى وأخيه هارون عليهما السلام لهذا الأسلوب بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٨٧].

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢٠/٥.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ١٥٥/٣.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/٢٢٥.





فالتعبير بلفظ ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فيه إشارة إلى أن تكون بيوتهم محل أنظار المؤمنين يتبعونهم في كل شيء، وذلك لأن استعلاء فرعون على قوم موسى كان من القوة بمكان، فجلوس موسى عليه الصلاة والسلام مع قومه وتعليمهم وإقامة العبادة جماعة معهم قد يكون متعذراً، كما يدل عليه سياق الآيات، ولكن الدعوة والتعليم والتوجيه وإقامة الشعائر لا تقف عند تلك المشكلة، بل التعليم والتوجيه بالقدوة هو المرحلة المتبعة إلى أن يقضي الله الأمر.

فهذا الجانب من الرعاية تأهيلٌ دعوي، حيث إنَّ الله تعالى بصرهما بأسلوب الدعوة، ليكونا على بصيرة ولا يقعوا في محذور في طريقة الدعوة، وكذلك يلقي عليهما الأمن بأنه حافظ لهما ومؤيد.

خامساً: تأهيله لموسى عليه الصلاة والسلام على المناظرة وحسن الحوار:

ويظهر أثر ذلك التأهيل في مناظرة موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون، حيث إنه لما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون لدعوته، ناظره بالحجة والعقل، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ (٢٥) قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَنْ أَخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾ [الشعراء ٢٣ - ٣٠].





وحسن حوار موسى من خلال هذه الآيات يظهر في قوله تعالى:
﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (٢٤)
«كان جواب موسى - عليه الصلاة والسلام - يحمل استصغار
ما يدعيه فرعون مع بطلانه، وتوجيه نظره إلى هذا الكون الهائل،
والتفكير فيمن يكون ربه.. فهو رب العالمين.
وفي قوله: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ "وهذه
أشد مساسا بفرعون ودعواه وأوضاعه، فالوراثة التي تقوم عليها
ألوهية فرعون دعوى باطلة»، «فبطل كون أحد منهم رباً لمن بعده
كما بطل كون أحد ممن قبلهم من الهالكين رباً لهم»^(١).

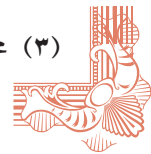
"فلما رأى منهم المكابرة ووصفوه بالجنون خاشنهم في القول"^(٢)،
بقوله: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
"أي لا تعقلون شيئاً ما، أو إن كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما
قلته. وفيه إيدان بغاية وضوح الأمر، بحيث لا يشبهه على من له عقل
في الجملة، وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل"^(٣). "فهذا التوجيه يهز
القلوب البليدة هزا، ويوقظ العقول الغافية إيقاظا. وموسى - عليه
الصلاة والسلام - يثير مشاعرهم، ويدعوهم إلى التدبر والتفكير".

ولما قال فرعون: ﴿ لَئِن أُتِّخِذتْ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ
الْمَسْجُونِينَ ﴾ يريد بذلك أن ينهي الحوار معه بالتهديد الغليظ بالبطش
الصريح، وهذا هو دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣٥٦/٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩ / ١٢١.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٧ / ٤٥٢.



الحق الدافع. أمام هذا التهديد يقول قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْنَاكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ "وفي هذا إحراج لفرعون لو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، وهو يدعي أنه مجنون.." (١).

فلم يفعل موسى أثناء الحوار عندما اتهم بالجنون أو عند تهديده بالسن بل "رد موسى مدافعاً بالتالي هي أحسن إرخاء للعنان، لإرادة البيان، حتى لا يبقى عذر لإنسان، رجاء النزوع عن الطغيان" (٢).

سادساً: توجيهه موسى وأخيه لأسلوب الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿فَأَنبَأَهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدَّهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٧ - ٤٨].

فهنا توجيه من الله مباشر لموسى وهارون بأن يجمعا بين الترغيب والترهيب في دعوة فرعون، فكان الترغيب في قوله: قال تعالى: ﴿فَأَنبَأَهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدَّهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ أما الترهب فكان في قوله: قال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ولما اجتمع السحرة للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظهم موسى وذكرهم قبل المناظرة وقال: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَّكُم لَّا تَقْرَؤُا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، فتنازعوا وتخاصموا ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿فَنَنْزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [طه: ٦٢].

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٥٩٣.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥ / ٣٥٧.



المبحث الرابع

رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه

إن قصة عيسى عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم شملت أموراً كثيرة، ولذا سنحاول توجيه الفكر حول ما يتعلق بجانب الرعاية.

فتمثل رعاية الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام في المطالب التالية:

المطلب الأول

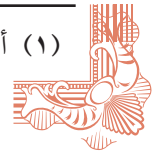
الرعاية التربوية لعيسى عليه الصلاة والسلام

لقد نشأ عيسى عليه الصلاة والسلام على الأخلاق الفاضلة فزكاه ربه قبل الحمل به قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [١٩]. فذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ذلك الروح - الذي هو جبريل - قال لها إنه رسول ربها ليهب لها؛ أي: ليعطيها. ﴿غُلَامًا﴾ أي: ولدًا، ﴿زَكِيًّا﴾ أي: طاهرًا من الذنوب والمعاصي، كثير البركات. ويبيّن في غير هذا الموضع كثيراً من صفات هذا الغلام الموهوب لها، وهو عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام^(١).

ومن تلك الصفات التي رباها الله عليها وزكاه بها:

١ - تربيته على العبودية لله تعالى:

فقد أقرّ عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل رضيع أنه عبدٌ لله، وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ





ءَاتَيْتِ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿مريم ٣٠ - ٣١﴾.

"أقر عيسى على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم؛ لئلا يتخذ إلهاً"^(١)، فأنا عبد لله "الملك الأعظم الذي له صفات الكمال لا أتعبد لغيره، إشارة إلى الاعتقاد الصحيح فيه، وأنه لا يستعبده شيطان ولا هوى"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم ٣١]. أي: "وأوصاني ﴿بِالصَّلَاةِ﴾ لله طهرة للنفس ﴿وَالزَّكَاةِ﴾ طهره للمال فعلاً في نفسي وأمراً لغيري"^(٣).

٢ - تربيته على بره بأمه:

قال تعالى: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم ٣٢].
"وقد خصه الله تعالى بذلك بين قومه، لأن برّ الوالدين كان ضعيفاً في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة لأنها تستضعف، لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرئان الولد على التساهل في البرّ بها"^(٤).
فلم يكن "بفظ ولا غليظ، ولا يصدر منه قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته"^(٥).

(١) معالم التنزيل ٥ / ٢٣٠.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٤ / ٥٣١.

(٣) المصدر السابق ٤ / ٣٥١.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦ / ١٠٠.

(٥) قصص الأنبياء، لابن كثير ص ٦٦.





٣ - التريية على التواضع وعدم التكبر على خلق الله:

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) [مريم ٣٢]. "أي: ولم يجعلني مستكبراً على الله فيما أمرني به، ونهاني عنه، ولكن ذللتني لطاعته، وجعلني متواضعاً"^(١).
قال السعدي: "جعلني مطيعاً له خاضعاً خاشعاً متذلاً متواضعاً لعباد الله"^(٢).

٤ - التريية على الدعاء والاتجاء لله تعالى والأدب في ذلك:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُ اللَّهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٣) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١١٣) قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١٤) [المائدة: ١١٠-١١٤]. "فذكر الدعاء والثناء معا - ولم يجيء في القرآن سواه، ولا رأيت أحدا تعرض لهذا ولا نبه عليه - سر عجيب دال على كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له"^(٣). فقد "ناداه مرتين بوصف الألوهية والربوبية، إظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء"^(٤).

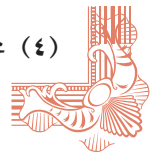
وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه: ﴿وَالسَّلَامُ

(١) جامع البيان للطبري ١٨ / ١٩٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٩٢.

(٣) بدائع التفسير ٢ / ١٣١.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٤ / ٢٩٣.





عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴿[مريم: ٣٣]. يقول القاسمي: "أعظم أحوال الإنسان احتياجا إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة: وهي يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث. فجميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى، طلبها ليكون مصونا عن الآفات والمخافات في كل الأحوال"^(١).

٥ - التربية على حسن التخاطب مع الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْبِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَدَّيْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: "لم يقل: لم أقله، بل قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ و فرق بين الجوابين في حقيقة الأدب. ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره.

وفي ختم الآية بقوله: ﴿إِنْ تَعَدَّيْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿[مريم: ٣٣]. إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم. ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى. فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦١٦.





إلى النار. فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة. بل مقام براءة منهم. فقربة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، أي شأن السيد رحمة عبده والإحسان إليهم. وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيدا لغيرك.

وشأن السيد المحسن المنعم أن يتعطف على عبده ويرحمه ويحنو عليه فإن عذبت هؤلاء وهم عبيدك لا تُعذبهم إلا باستحقاقهم وإجرامهم وألا فكيف يشقى العبد بسيدته وهو مُطيع له مُتبع لمرضاته^(١). وفي صفتي العزة والحكمة "تنبيهها على أنه لا امتناع لأحد عن عزته، فلا اعتراض في حكمه وحكمته"^(٢).

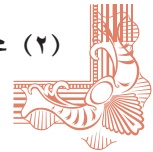
٦ - التربية على نسبة الفضل لله:

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

"حرص القرآن على أن يذكر على لسان المسيح - عليه الصلاة والسلام - كما هو مقدر في غيب الله عند البشارة لمريم، وكما تحقق بعد ذلك على لسان عيسى - أن كل خارقة من هذه الخوارق التي جاءهم بها، إنما جاءهم بها من عند الله. وذكر إذن الله بعد كل واحدة منها تفصيلاً وتحديداً ولم يدع القول يتم ليذكر في نهايته إذن الله زيادة في الاحتياط!".

(١) بدائع التفسير ٢ / ١٣٢ - ١٣٣ باختصار وتصرف يسير.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٤ / ٣٠٣.





٧ - تربيته على الجدية والإيجابية من خلال تربيته لأمه:

وذلك باتخاذ الأسباب لحصول المراد مهما كان شاقاً، وعدم التواكل، وذلك قول الله تعالى لأمه عند ولادته: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيئًا﴾ [مريم: ٢٥]. فجذع النخلة قاسٍ، وهزّه صعّبُ، وهي في حالة تعب الولادة، ولكن يأمرها الله بذلك لكي ينسيها الألم الذي أصابها، ولكي تتعلم فعل الأسباب، وفي هذا تربية لها، وتربية لابنها بالتبع على اتخاذ الأسباب.

٨ - تربيته على شدة تعظيم الله سبحانه:

ويظهر أثر هذه التربية في موقف دعاه أن يُصدّق الحالف ويُكذّب عينه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني))^(١).

قال ابن القيم: "تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله، فظنه المسيح سرقة، وهذا تكلف، وإنما كان الله سبحانه وتعالى في قلب المسيح - عليه الصلاة والسلام - أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذباً، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم - عليه الصلاة والسلام - صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى كاذباً"^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦] (٣٤٤٤).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٨٣. وانظر فتح الباري لابن حجر ٦/ ٤٨٩.





المطلب الثاني

الرعاية العلمية لعيسى عليه الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران ٤٨]. فكان تعليم الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام الكتاب، والحكمة، والتوراة، والإنجيل آية من الآيات العظيمة.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن تمام بشارة الملائكة لمريم

بابنها عيسى، عليه الصلاة والسلام - أن الله يعلمه ﴿الْكِتَابَ

وَالتَّوْرَةَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة.

﴿والتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله

الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى

عليهما السلام، وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام، يحفظ هذا

وهذا"^(١).

وامتن الله عليه بذلك فقال تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ

وَالتَّوْرَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠]. والكتاب: هنا

مصدر، أي: يعلمه الخط باليد. وتعليمه إيها قيل: بالإلهام. وقيل:

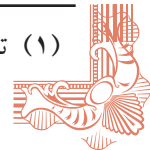
بالوحي. وقيل: بالتوفيق والهداية للتعلم.

والحكمة: فسرت هنا: بسنن الأنبياء، وبما شرعه من الدين،

وبالنسبة، وبالصواب في القول والعمل وبالعقل، وبأنواع العلم.

وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يستظهر التوراة.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤ / ٢.





وذكر الإنجيل لمريم؛ وهو لم ينزل بعد - لأنه كان كتاباً مذكوراً
عند الأنبياء والعلماء، وأنه سينزل^(١).

وعندما دعا قومه ذكر نعمة الله عليه ومنها تعاليم الله له
الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ
جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: ٦٣].

المطلب الثالث الرعاية النفسية وحفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام

يمكن بيان رعاية الله تعالى النفسية لعيسى عليه الصلاة
والسلام في النقاط التالية:

١ - رفع الله لقدر عيسى عليه الصلاة والسلام:

إذا تأملنا قوله الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] وجدنا أن الله
تعالى رفع قدر عيسى عليه الصلاة والسلام من جانبين: الأول: جعله
الله صاحب وجاهة كما في قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
أي: "ذا وجهٍ ومنزلة عالية عند الله، وشرفٍ وكرامة"^(٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٨/١، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/٢
٣٥١ - ٣٥٢ بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري ٦/٤١٥.





فيعسى عليه الصلاة والسلام "له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم"^(١).
ومن وجاهته: "جعل الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب هذا في الدنيا، وفي الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة بإخوانه من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين"^(٢).

الثاني: تقريب الله لعيسى عليه الصلاة والسلام: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: "أنه ممن يقربهم الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره ويدنيه منه"^(٣)، فهو عليه الصلاة والسلام عند الله "من المقربين، الذين هم أقرب الخلائق إلى الله، وأعلاهم درجة، وهذه بشارة لا يشبهها شيء من البشارات"^(٤).

٢ - الثناء بصلاح عيسى عليه الصلاة والسلام:

قال الله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] أي: "من عدادهم وأوليائهم، لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل"^(٥).

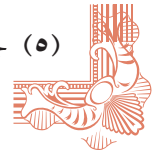
(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١٣٠.

(٣) جامع البيان للطبري ٤١٥ / ٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٩٦٧.

(٥) جامع البيان للطبري ٤٢٠ / ٦.





قال ابن سعدي: "أي: يمن عليه بالصالح، من منّ عليهم، ويدخله في جملتهم، وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه الصلاة والسلام"^(١).
فهو عليه الصلاة والسلام من الصالحين "فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، لَهُ عِلْمٌ صَحِيحٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ"^(٢).

٣ - تَذَكُّرُ اللَّهِ تَعَالَى لِعِيسَى بِنِعْمَةِ تَطْمَئِنَّةٍ لَهُ:

فقد طمأن الله نفس عيسى عليه الصلاة والسلام بما يجعله هادئ النفس قوي الحجة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٧].

أي: "اذكرها بقلبك ولسانك، وقم بواجبها شكرا لربك، حيث أنعم عليك نعمًا ما أنعم بها على غيرك، فهذه المنن - المذكورة - امتنَّ الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم ودعاه إلى شكرها والقيام بها فقام بها عليه الصلاة والسلام أتم القيام وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم"^(٣).

٤ - حَفْظُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ:

ويتمثل هذا في منع بني إسرائيل من الإمساك به وقتله ثم رفعه إلى السماء، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٢٣٨.





وَرَأَفَعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ [آل عمران: ٥٥].

"فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان"^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة: ١١٠]. أي: "أي واذكر نعمتي عليك
في كفى إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على
نبوتك ورسالتك من الله إليهم، فكذبوك واتهموك بأنك ساحر،
وسعوا في قتلك وصلبك، فنجيتك منهم، ورفعتك إليّ، وطهرتك
من دنسهم، وكفيتك من شرهم"^(٢).

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "صَلَبُوا رِجْلَيْ شَبَّهْوَه بَعِيسَى، يَحْسُبُونَهُ إِيَّاهُ، وَرَفَعَ
اللَّهُ إِلَيْهِ عِيسَى حَيًّا"^(٣)، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٤٤٩/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٢٤).

(٣) المصدر السابق (٢/٤٥٢).





المطلب الرابع الرعاية الدعوية لعيسى عليه الصلاة والسلام

تتمثل الرعاية الدعوية من الله لعيسى عليه الصلاة والسلام في جوانب كثيرة، ومنها:

١ - تعليمه البدء بالدعوة لتوحيد الله عز وجل:

ويظهر هذا في بدء عيسى عليه الصلاة والسلام بعقيدة التوحيد، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]

٢ - تيسير الله له تعليم الناس الخير:

وذلك في قول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم ٣١]. "أي معلما للخير، داعيا إلى الله، مذكرا به، مرغبا في طاعته، فهذا من بركة العبد، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقاءه والاجتماع به، بل تحقق بركة من لقيه واجتمع به"^(١).

"تعليم الرجل الخَيْرُ هُوَ الْبُرْكََةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهِ فَإِنَّ الْبُرْكََةَ حُصُولُ الْخَيْرِ وَنَمَائِهِ وَدَوَامِهِ وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ إِلَّا فِي الْعِلْمِ الْمُرُوثِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَعْلِيمِهِ وَهَذَا سُمِّيَ سُبْحَانَهُ كِتَابَهُ مُبَارَكًا"^(٢).

(١) رسالة ابن القيم لأحد إخوانه ص ٥.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٣/ ١٧٣.





٣ - أيده الله تعالى بالمعجزات:

فقد أيد الله عيسى بالمعجزات ابتداءً من ولادته من أم بلا أب، قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا [مريم: ١٦-٢١].

ثم كلامه وهو في المهدي، ليثبت براءة أمه مما اتهموها بها من البهتان، وإخبارهم أنه نبي من عند الله. قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢١﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٢٢ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٢٣ وَرَبًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٢٤ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٢٥ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ [مريم: ٢٩-٣٤].

جعل الله له معجزات أخرى ذكرها الله في كتابه فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ٤٩].

وأكرمه بنزول مائدة من السماء عليه وعلى قومه بناءً على طلبهم،





قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

٤ - تأييده بروح القدس (جبريل عليه الصلاة والسلام):

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧] "وتخصيصه من بين الرسل عليهم الصلاة والسلام بالذكر ووصفه بما ذكر من إيتاء البيئات، والتأييد بروح القدس لحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه الصلاة والسلام، ببيان حقيقته، وإظهار نهاية قبح ما فعلوا به عليه الصلاة والسلام" (١).

المطلب الخامس

رعاية الله تعالى لوالدته مريم عليها السلام

فمن رعاية الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام وتأهيله للرسالة والدعوة رعاية الله لوالدته وهي بيت نشأته، إذ كيف سيؤثر في الناس إذا لم يُربى التربية الصحيحة التي يعطي بها كل إنسان حقه، وكيف سيقبل منه الناس إذا اشتهرت أسرته بما يشين ويعاب عليه. لكن الله بحكمته وبعده ورعايته، كفل هذه الأمور لنبية عيسى عليه الصلاة والسلام، لئُعدّه لأن يكون نبياً مؤثراً مقبولاً بين الناس.

وتبرز هذه العناية في رعاية الله تعالى لوالدته عليها السلام في أمور:

(١) محاسن التأويل للقاسمي / ١ / ٣٤٨.



١ - عراقة نسب مريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران ٣٣ - ٣٤].

"اصطفى الله آل عمران، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم، فلهذا قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق والأخلاق الجميلة، وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ دل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما"^(١).

٢ - دعاء امرأة عمران لمريم وقبول الله لها:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران ٣٦ - ٣٧]. دعت لها ولذريتها أن يعيدهم الله من الشيطان الرجيم "وهذه كلمة القلب الخالص، ورغبة القلب الخالص. فما تود لوليدتها أمراً خيراً من أن تكون في حياطة الله من الشيطان الرجيم! وقبل الله تعالى من أم مريم نذرها، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ وذلك جزاء هذا الإخلاص الذي يعمر قلب الأم، وهذا التجرد الكامل في النذر.. وإعداداً لها أن تستقبل نفخة الروح، وكلمة الله، وأن تلد عيسى - عليه الصلاة والسلام - على غير مثال من ولادة البشر."

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٨ باختصار.



٣ - اصطفاء الله تعالى لمريم:

قال تعالى: ﴿وإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٤٢] أي:
"اختارك واجتباك لطاعته وما خصك به من كرامته"^(١).

"والاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور"^(٢).

٤ - تكليف الله تعالى من يكفل مريم:

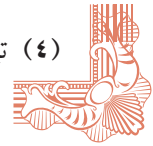
ومن رعاية الله تعالى لمريم أن جعل نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام كفيلا لها ليتم الاعداد ويتحقق الاصطفاء، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ [آل عمران ٣٧] أي: "جعله الله كافلا لها وضامنا لمصالحها، وقائما بتدبير أمورها"^(٣)، واختيار زكريا عليه الصلاة والسلام كفيلا لها من بين من اقترعوا لذلك "من رفق به ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربه"^(٤).

(١) جامع البيان للطبري ٦/٣٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٣٠.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٢/٢١٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٨.





٥ - صلاح مريم وكثرة عبادتها:

وهذا يتضح في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران ٣٧] أي: "فنبتت في الصلاح والسداد والعفة والطاعة"^(١)، لقد: «ربيت تربية عجيبة؛ دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها"^(٢). "فنشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة. فكانت إحدى الناسكات المتبتلات"^(٣). وقيل: "أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه الصلاة والسلام"^(٤).

وهذه العبادة وهذا التنسك كان أمرا من الله لها، شكرا له على نعمة الاصطفاء، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران ٤٢ - ٤٣] "أي اعبديه شكرا على اصطفائه"^(٥).

"وصوّها بالمحافظة على الصلاة، بعد أن أخبروها بعلو درجتها وكمال قربها إلى الله تعالى، لئلا تفتر ولا تغفل عن العبادة"^(٦).

(١) مفاتيح الغيب ٢٠٦/٨.

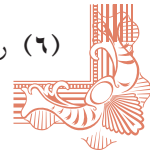
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٩٦٦.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٩٤ / ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٨.

(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٣١٦ / ٢.

(٦) روح المعاني ١٥٦ / ٣.





"فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها"^(١)، كما قال تعالى: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران ٣٧]، حتى عندما نزل عليها الملك ليخبرها باصطفاء الله لها لتكون أما لعيسى عليه الصلاة والسلام كانت في محرابها، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٦ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم ١٦ - ١٧].

كانت على هذه الحال حتى وصلت لمرتبة القانتين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ﴾ ١٢ ﴿[التحريم ١٢]. "أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته، بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها ﷺ صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل"^(٢).

٦ - رزق الله تعالى لمريم:

وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران ٣٧]، أي: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فقال لها زكريا ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فضلا وإحسانا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: "من غير حساب من العبد ولا كسب"^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٨٧٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٨.





وكذلك عندما جاءت مريم لحظة الولادة، فقد ثبتها ورزقها قال تعالى: ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ۗ ﴿٢٥﴾ فَكُلِي **وَأَشْرِي** ﴾ [مريم ٢٥ - ٢٦]. "إن مريم عليها السلام كان يتعرف إليها في بدايتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلاً ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا. فلما قوي إيمانها ويقينها ردت إلى السبب لعدم وقوفها معه، فقيل لها: ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ۗ ﴾" (١).

فقد "أمر الله مريم - المرأة الضعيفة النفساء - بهزّ جذع النخلة التي تثقل الرجال، والله قادر أن يكرمها برزق - كما في سورة آل عمران -؛ ليعلم الناس أهمية بذل السبب" (٢).

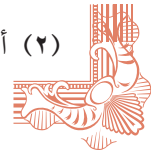
٧ - تثبيت الله لمريم:

قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ، مَكَانًا قَصِيًّا ۗ ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۗ ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ مَحْجَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۗ ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ۗ ﴿٢٥﴾ فَكُلِي **وَأَشْرِي** وَقَرِي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۗ ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم ٢٢ - ٢٦].

"سكن الملك روعها وثبت جأشها ونادها من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢ / ٣١٣.

(٢) أضواء البيان ص ٨٧٤.





تهتمي.. وكُلِّي وَاشْرَبِي ﴿ وَقَرِي عَيْنًا ﴾ بعيسى، فهذا طمأنيتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب الهني. وأما من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحدا من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ أي: سكوتا ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًا ﴾ أي: لا تخاطبهم بكلام، لتستريح من قولهم وكلامهم. وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا^(١).

٨ - تقرير الله تعالى لعفة مريم:

- وهذا من الأمور المهمة جدا في رعاية الله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ووالدته، وتم هذا التقرير بعدد من الصور، منها:
- ثناء الله تعالى عليها بعفتها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم ١٢].
 - بيان أن الله تعالى طهرها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ [آل عمران ٤٢].
 - عرض حالة فرعها عندما دخل عليها رجل في خلوتها لا



تعرفه، واستعاذتها بالله منه، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم ١٧ - ١٨] "فها هي ذي تنتفض انتفاضة العذراء المدعورة يفجؤها رجل في خلوتها، فتلجأ إلى الله تستعيذ به وتستنجد وتستشير مشاعر التقوى في نفس الرجل، والخوف من الله والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي، فالتقيّ ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، ويرجع عن دفعة الشهوة ونزغ الشيطان"

• استنكارها أن يكون لها ولد ولم يمسسها بشر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران ٤٧]، وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ [مريم ٢٠].

• تبرة الله لمريم من خلال معجزة كلام عيسى في المهد، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم ٢٢ - ٣٤].



الفصل الثاني

نماذج من رعاية الله

لبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام

المبحث الأول: رعاية الله لأدم عليه الصلاة والسلام وذريته.

المبحث الثاني: رعاية الله لإسمايل عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام.

المبحث السابع: رعاية الله لذكريا ويحيى عليهما الصلاة

والسلام.





المبحث الأول رعاية الله لأدم عليه الصلاة والسلام

تبرز رعاية الله سبحانه وتعالى لأدم عليه الصلاة والسلام وذريته من خلال ما ذكره الله تعالى في القرآن عبر عدد من المواقف، نعرضها من خلال مطلبين:

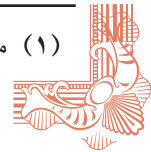
المطلب الأول الرعاية التربوية لأدم عليه الصلاة والسلام

١ - تربيته على التواضع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۗ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. "وإنما خلق الله آدم من تراب لأسباب منها: أن يكون متواضعا وليكون أشد التصاقا بالأرض ليكون مطفئاً لنار الشهوة، والغضب، والحرص، فإن هذه النيران لا تطفأ إلا بالتراب"^(١).

٢ - تكريم الله لأدم عليه الصلاة والسلام بسجود الملائكة له:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٣٤]. وهذه من الرعاية النفسية التي كرم الله تعالى بها آدم عليه الصلاة والسلام، لأنه تميز عن الملائكة بالعلم فيما جعله الله له من الفضل والتشريف كما في الآية.





"إنه التكريم في أعلى صورته، حيث وهبه من الأسرار ما يرفعه على الملائكة. لقد وهب سر المعرفة، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق.. وقدرته على تحكيم إرادته، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة..".

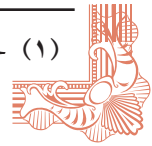
٣ - تحذير الله لآدم من إبليس وحسده:

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه ١١٧]. فمن رعاية الله تعالى لآدم أن حذره وذريته من إبليس ومن حسده، قال ابن جرير: "فلا تطيعاه فيما يؤمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له، فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حذّره ربه"^(١). وهذا التحذير يشير كذلك لأن يحذر آدم وذريته من العوائق التي سيضعها الشيطان لكي يوقف عملية الاستخلاف في الأرض، والتي بطبيعة الحال تحتاج إلى العلم، فكما أن التعليم مهم فكذلك التحذير من عوائق طلبه مهم أيضاً.

٤ - ترغيب آدم في الجنة ونعيمها:

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٧-١١٩].

فقد نبه الله تعالى آدم على فضائل الجنة التي لا ينالها في غيرها من أمر الحياة الدنيا، بل يناله عكسها ففيها - أي أرض الدنيا - الجوع والعري والظمأ والتعب والنصب... الخ.





٥ - اختبار آدم وتعليمه أسباب الثبات:

ومن رعاية الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام اختباره هل سيطيع ربه أم سيعصيه ويتبع إغواء الشيطان، وذلك بعد أن علمه خطر هذا الشيطان وبين له ما سيصيبه لو أنه عصى أمره سبحانه فقال تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَتَىٰ أَنْتَ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة ٣٤ - ٣٦]، فكان هذا الاختبار رحمة له ولذريته، إذ بقي تمييزاً للصادق من الدَّعي، وقد بان بهذا الاختبار المطيع والعاصي، وأسباب الطاعة والمعصية، وبه اتضحت مداخل العدو المتربص أعاذنا الله من شره ووسوسته، ومن شر أتباعه.

٦ - تربيته على احترامه للقسم:

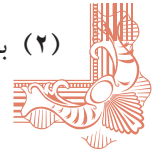
وهذا يتضح عند قسم الشيطان لهما فانقادا لباطله - الله المستعان - كما في قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحِينَ ﴾ [الأعراف ٢١]، قال ابن كثير: "أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما. وقد يخدع المؤمن بالله"^(١)، «ولم يكن آدم يظن أن أحدا يقسم بالله كاذبا يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة فظن آدم صدقه"^(٢).

٧ - تربية آدم على ستر العورة:

قال تعالى: ﴿ يَبْنِيٰ آدَمَ لَا يَفْنَيْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيَمًا ﴾ [الأعراف ٢٧].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٧.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ٢/ ٢٠١.





وقال تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٢٢].
فلما عصى آدم وزوجته أمر الله تعالى "ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعي الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع؛ فظهرت عوراتها، ولما ظهرت عوراتها؛ خَجِلَا وَجَعَلَا يَخْصِفَانِ عَلَى عَوْرَاتِهَا مِنْ أَوْرَاقِ شَجَرِ الْجَنَّةِ، لِيَسْتَتِرَا بِذَلِكَ"^(١).

المطلب الثاني

الرعاية العلمية لآدم عليه الصلاة والسلام

١ - تعليم الله آدم الأسماء:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٢) [البقرة ٣١ - ٣٢].
فعلّم الله آدم الأسماء كلها^(٢)، كما جاء في الآية، وكما ورد في حديث الشفاعة المعروف وفيه: قول النبي ﷺ ((فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيديه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك.....))^(٣).

فمن عناية الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام وذريته، أن

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٢٨٥.

(٢) لا نعلم تفصيلات ذلك التعليم لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى تفاصيله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله: {وعلم آدم الأسماء كلها} (٤٢٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).





علم آدم كل شيء لكي يقوم بواجب الخلافة في الأرض، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فلا تكون الخلافة حقيقية بدون علم.

"إنها القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب للإنسان القدرة على ذلك، والمشقة في التفاهم والتعامل"^(١).

"أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَظْهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ فَأَظْهَرَ لَهُمْ أَحْسَنَ مَا فِيهِ وَهُوَ عِلْمُهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَأَنَّ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ"^(٢).

"هذه الآية دالة على فضل العلم فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه الصلاة والسلام إلا بأن أظهر علمه فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء"^(٣).

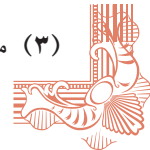
٢ - تعليم الله آدم التوبة وأدب الدعاء:

لم يترك الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام بعد معصيته هكذا لا يدرى ماذا يفعل، فلما أخرجه هو وزوجته من الجنة علمه الله تعالى كيف يتوب ويستغفر قال تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٧]. وهذا من رعايته سبحانه وتعالى له ولذريته.

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/٥٧.

(٢) بدائع التفسير لابن القيم ١/٣٠٠.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٢/٣٩٩.





وهذه الكلمات التي تعلمها آدم من ربه جاء تفصيلها في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمنا أَنْفُسنا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لنا وَتَرْحَمنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ [الأعراف ٢٣]^(١). وهذا أدب مبارك من آداب الدعاء ألا وهو الثناء على الله بما هو أهله، والاعتراف بالذنب والتقصير وما فيه من إظهار الخضوع والمسكنة والحاجة لله تعالى.

٣ - تعليم الله بني آدم الدفن:

قال تعالى: ﴿فَبَعثَ اللهُ غراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُريَهُ كَيْفَ يُؤارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤوِلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغرابِ فَأوَارِى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة ٣١].

عن ابن عباس قال: مكث يحمل أخاه في جراب على رقبتة سنّة، حتى بعث الله الغرابين، فرأهما يبحثان، فقال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغرابِ فَأوَارِى سَوْءَةَ أَخِي﴾؟ فدفن أخاه^(٢).

"فلم يعرف الأخ القاتل كيف يوارى جسد أخيه فأراد الله تعالى تعليمه وتعليم من بعده بأن أرسل الغراب يحفر في الأرض بمنقاره وبحث فيها برجله وكأنه يقول لذلك الإنسان العاجز: تعلم مني، واحفر حفرة واجعلها قبراً، وضع فيها جثة أخيك"^(٣).

(١) رُوِيَ هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبیر، وأبي العالیه، والربیع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٣٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٢٤.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/٢٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢/٤ (١٨٠).

(٣) القصص القرآني لصلاح الخالدي ١/١٤٦ - ١٤٧.





المبحث الثاني

رعاية الله تعالى لإسماعيل عليه الصلاة والسلام

ذكر الله لنا في القرآن قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في غير موضع من القرآن ويمكن أن نجمل رعاية الله جل جلاله لإسماعيل عليه الصلاة والسلام في الجوانب التالية:

المطلب الأول

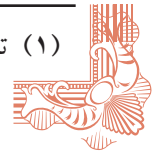
الرعاية التربوية والعلمية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام

أولاً: الرعاية التربوية:

١ - تربيته على التسليم الكامل لأمر الله:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ۗ قَالَ يَبْنَؤُا أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [الصافات ١٠١ - ١٠٢]. قال ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه"^(١). فماذا يكون من أمر الغلام، الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟

"إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه: ﴿ يَبْنَؤُا أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ إنه يتلقى الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب. ولكن في رضا كذلك وفي يقين ﴿ يَبْنَؤُا ﴾ في مودة وقربى، فشح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده،





بل لا يفقده أدبه ومودته. ﴿ **أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** ﴾ فهو أحسن أن الرؤيا أمر.
وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولا تمحل ولا ارتياب.
ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال؛ والاستعانة بربه على ضعفه ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ فلم يأخذها بطولة، أو شجاعة، أو اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة. ولم يُظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً.. إنما أرجع الفضل كله لله إذ هو من أعانه على ما يطلب، وصبره على ما يراد به: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾."

٢ - تربيته على الصبر على البلاء:

قال تعالى عنه: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾
"فالابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه ورضا والده نفسه، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى" (١).

٣ - تربيته على بر الوالدين:

فقد لبي طلب أبيه إبراهيم عندما أمره أن يطلق زوجته غير القنوع، وكثيرة التشكي. وهذا يبين أنه قد ربي على ذلك من صغره (٢)، وقبلها أرضى والده حين قال له أنه سيدبحه، ولم يرفض أو يتردد، وعندما أمره ببناء البيت معه.

٤ - تربيته على الصدق في الوعد:

قال تعالى: ﴿ **وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ**

رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ [مريم ٥٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٠٦.

(٢) سيأتي ملخص الرواية في ذلك عند البخاري في الحديث عن الرعاية الأسرية.





أي: "واذكر يا محمد في الكتاب إسماعيل بن إبراهيم، فاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبداً من عباده وعداً وقي به"^(١)، وعن ابن جريج، قال: "لم يعد ربه عدة إلا أنجزها"^(٢).

فصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح. فقد وصفه الله أنه ﴿صَادِقٌ الْوَعْدِ﴾ "بسبب أنه لا يعد وعداً إلا مقروناً بالاستثناء، كما قال لأبيه حين أخبرهم بأمر ذبحه: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾"^(٣).

٥ - تربيته على الدعوة وخصوصاً دعوة أهله:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(٥٥) [مريم ٥٥]. "كان يبدأ أهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم. ولأنهم أولى من سائر الناس"^(٤).

٦ - تربيته على الحلم وحسن الخلق:

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَلْمٍ حَلِيمٍ﴾^(١٠١) [الصفات ١٠١] "ووصف الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عن من جنى"^(٥).

٧ - تربيته على الخشونة والرجولة:

فقد تركه هو وأمه وهو صغير قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فنشأ وترعرع في ظل غياب أبيه، وفي مكان تصعب الحياة فيه.

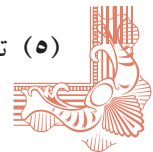
(١) جامع البيان للطبري ٢١١/١٨.

(٢) جامع البيان للطبري ٢١١/١٨، الدر المنثور ٥١٦/٥.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥٤١/٤.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ١٠٤/٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧٠٥.





٨ - تيسير الله له أمماً تربيته وأباً يتعاهده:

فقد كانت ترعاه أمه ويتعاهده أبوه، وهذا يدل على دور الأم في تربية ورعاية طلاب العلم، وكذلك دور الأب في التعاهد والمتابعة ولو بعد حين كما في قصة زيارة إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بعد زواجه.

ثانياً: الرعاية العلمية:

١ - اصطفاء الله له رسولاً نبياً:

من أعظم ما يظهر هذه العناية أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام كان رسولاً نبياً، وكان أبوه كذلك، ولا عجب أن يصطفيه الله لذلك، فكان إسماعيل نبياً من أنبياء هذه الأمة. قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم ٥٤]. ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله ورحمة منه واتباع لشرع الله.

٢ - تعليمه التوحيد ومسائل القضاء والقدر:

وهذا يظهر من قول إسماعيل عليه الصلاة والسلام عندما أراد والده ذبحه بأمر من الله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات ١٠٢]. "فقد قرن رضاه وطاعته لله بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى" (١).





المطلب الثاني الرعاية الاجتماعية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام أولاً: الرعاية الأسرية:

١ - إلهام الله تعالى لإبراهيم دعاءه لأسرته ومنهم إسماعيل:

فقد دعا إبراهيم أن يحفظ الله إسماعيل وأمه عندما تركهما في مكة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم ٣٧].

وكان ذلك دأبه حتى بعدما كبر إسماعيل وتزوج وبنيا البيت فكان من دعائه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة ١٢٨].

٢ - رعاية والده له بعد زواجه:

أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يطمئن على ابنه ووريث دعوته من بعده إسماعيل عليه الصلاة والسلام، فجاءه بعدما تزوج، فوجد زوجته غير قنوع بحالها فأمره أن يطلقها فلبى ذلك، ثم جاءه مرة أخرى ليطمئن عليه فوجد عنده زوجة قنوع راضية بما قدره الله مؤمنة، فأمره أن يحسن إليها ولا يفارقها فأطاعه^(١).

ثانياً: الرعاية المادية؛ وذلك في أمور منها:

١ - تعليمه البناء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة ١٢٧].

(١) أخرج الرواية كاملة البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب {يزفون} (٣٣٦١).





قال ابن عباس رضي الله عنه: "قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن ابني هاهنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾" (١).

٢ - تعليمه الصيد:

فقد جاء في الخبر: "كَانَ عَيْشُ إِسْمَاعِيلَ الصَّيْدَ يُخْرِجُ فَيَتَصَيَّدُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي جَهْمٍ: «وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ يَرْعَى مَاشِيَتَهُ وَيُخْرِجُ مَتَنَكَّبًا قَوْسَهُ فِيرْمِي الصَّيْدَ»" (٢).

٣ - تيسير الله له أبا يعينه على الاعتماد على نفسه في كسب المعاش وتحصيله:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ [الصفافات ١٠٢]، قال القرطبي: "فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معينا له على أعماله" (٣)، وقال أبو حيان: "أي أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوادثه" (٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير لابن أبي حاتم ١/٢٣٢.

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح عند شرح حديث رقم (٣٣٦١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب {يزفون}.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/٩٩.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٩/٣٠٧.





المبحث الثالث

رعاية الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام

تميزت رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام بأنها شملت مراحل حياته كلها منذ أن كان طفلاً صغيراً في حجر والده، حتى أصبح عزيز مصر.. وكل مرحلة من مراحل حياته كان ربه سبحانه وتعالى يرعاه رعاية خاصة تؤهله للمرحلة التي سيقدم عليها.. ويمكن إبراز ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول

الرعاية التربوية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى التربوية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على العبودية لله وحده والاتجاه إليه والتبرؤ من الحول والقوة:

فقد حكى الله عنه دعاءه في حال الشدة قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

وفي حال الرخاء قوله: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠] فتبرأ من الحول والقوة.

٢ - تربيته على الإخلاص:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].



"قوله: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾؛ فيه قراءتان: قراءة باسم الفاعل؛ _ (المخلصين) بكسر اللام، وأخرى باسم المفعول؛ _ ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام. فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص، ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه لرسالته.

وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين، لأنه كان مخلصا في طاعة الله تعالى، مستخلصا لرسالة الله ^(١).

٣ - تربيته على الصبر بكل أنواعه:

فقد صبر يوسف على الغربة عن أهله، وصبر على كيد إخوته، وصبر عن الوقوع في الفاحشة، وصبر على السجن، وصبر في وقت الرخاء والنصر فقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠٠-١٠١].

٤ - تربيته على نسب الفضل لأهله:

فقد نسب الفضل لله بقوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ وقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٧٠.



وقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨] قال ابن عباس رضي الله عنه مفسرا هذه الآية: "من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء؛ وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلا"^(١).

وقوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

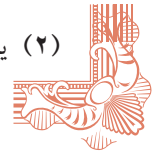
٥ - تربيته على العفة:

قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف ٢٣]. فرزقه الله العصمة من شر هذه الفتنة - مع توفر أسبابها من غربته وسلطة الداعي والشباب - فاستعاذ بربه منها، وبيّن أنها ظلم، وكانت من ثمرتها أن أصبح عزيز مصر المستأمن على خزائنها.

"فالعفة تحفظ بها الأعراض في الدنيا، وتجلب اللذة والنعيم في الآخرة. وهي ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف، وهي نظافة للفرد والمجتمع من المفاسد والمآثم وهي دليل كمال النفس وعزّها. صاحبها مستريح النفس مطمئن البال. وهي دليل وفرة العقل، ونزاهة النفس"^(٢).

(١) النكت والعيون للماوردي ٣ / ٣٨.

(٢) ينظر: نضرة النعيم لابن حميد ٧ / ٢٨٨٨ باختصار.





٦ - تربيته على الذكاء والفتنة:

فلقد استطاع أن يبلغ إخوته رسالة عتاب، وأن يُعلّمهم، وأن يأخذ أخاه، وأن يأتي بأبيه وإخوته إليه، كل ذلك بذكاء وفتنة قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

٧ - تربيته على كظم الغيظ والحلم والعفو والصفح عمن ظلمه عند

المقدرة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُّوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾

فتظهر نتيجة تلك التربية عندما قال إخوة يوسف لما رأوا الصاع يستخرج من رحل أخيهم: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ هذا فليس بغريب عنه؛ ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾؛ يعنون يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم، وأن هذا وأخاه قد يصدر منها ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لهم.

﴿فَأَسْرَهَا يُّوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾؛ ولم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسر الأمر في نفسه؛ وقال في نفسه: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ حيث ذمتمونا بما أنتم على أشر منه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: يعلم الله أنا براء مما وصفتمونا به من السرقة^(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٠٢.





ثم إن يوسف عليه السلام لما عرّفهم بنفسه آخر الأمر أقروا له بأنهم أساءوا إليه وأخطؤوا في حقه؛ فما انتقم منهم رغم مقدرته على ذلك وإنما قال: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ^ط وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، يقول لهم: لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ثم زادهم على ذلك أن دعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يأتي إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين^(١)، فهذه المغفرة بعدما ألقوه في البئر، وبيعه مملوكاً، وتعريضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقه..

٨ - تربيته على إنكار الذات:

فلما طلب منه إخوته العفو منهم سألهم، ووكّل أمر ذلك ونسبه إلى الله: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١] قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ^ط وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [يوسف: ٩٢ - ٩١]. فلم يقل أنا غفرت لكم أو قال أنا سأمحتكم بل نسب المغفرة والعفو لله تعالى.

٩ - تربيته على عدم جرح المشاعر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. حيث إن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يجرح مشاعر إخوته

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤ / ٤٠٨، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص: ٤٠٤.





أمام والده؛ بأن يقول: وقد أحسن بي إذ أخرجني من الحب والسجن، واكتفى بذكر السجن، وكذلك نراه رد ما فعله به إخوته إلى الشيطان ونزغه.

"فلم يذكر خروجه من الحب، مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولا سيما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الحب"^(١).

المطلب الثاني

الرعاية العلمية ليوسف عليه الصلاة والسلام

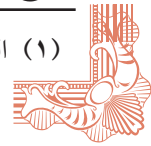
يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى العلمية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تعليمه تفسير وتأويل الرؤيا:

فقد بشره أبوه أن الله سيعلمه تأويل الأحاديث: ﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** ﴾ [يوسف: ٦]، وعندما تعرض وسئل عن تأويل رؤيا السجينين افتتح تأويله لهما بإثبات أن ذلك مما علمه الله، قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَا يَا تُكَمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۚ إِلَّا نَبَأَ تُكُمَا تَأْوِيلَهُ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي** ﴾ [يوسف: ٣٧].

وأثنى يوسف على ربه وحمده على هذه النعمة بقوله: ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** ﴾ [يوسف: ١٠١]. فقد كان لهذا الجانب من التعليم أثره في دعوته وخروجه من السجن ومن ثم أصبح به عزيز مصر، حتى أن يوسف عليه السلام أدرك ذلك غاية الإدراك فحمد الله تعالى على نعمة هذا النوع من العلم.

(١) البرهان للزركشي ٦٦/٣.





٢ - تعليمه العلم النافع مع الحكمة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف ٢٢].

فقد أثنى الله تعالى ونص على أنه أعطاه الحكم والعلم الذي يستطيع أن به أن يكون خليفة في الأرض يدعو للتوحيد وإخلاص الدين لله ويقوم حياة الناس ويصلحها بهذا التوحيد. وجمع بين العلم والحكم، "لأنه ليس كل عالم حكيمًا، إنما الحكيم العالم المستعمل علمه، الممتنع به من استعمال ما يجهل فيه"^(١).

٣ - تعليمه مهارة القيادة:

قال تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف ٥٥]. أي: "حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصًا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه"^(٢).

فإن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يتطلع لهذا الملك وهذه الوظيفة إلا وهو يدرك ويعلم ما تحتاجه من أمانة وعلم، وقد علم من نفسه ذلك بما علمه الله تعالى حيث لم يتلق علم الحكم والقيادة إلا من ربه جل وعلا الذي صنعه على عينه.

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢ / ٤٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٠٠.



**٤ - علمه العقيدة والدعوة:**

وبرز هذا الجانب من التعليم في حديثه مع من كانوا معه في السجن، وإبداء دعوته لهم بالتوحيد قبل أن يجيبها عن سؤالها، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السَّجْنُ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف ٣٧-٤٠].

٥ - تعليمه فن وادب الحوار:

وهذا يظهر بجلاء في عدد من المواقف، منها:
 فن الحوار مع السجينين معه، فقد قال لهما: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ " فلم يشتم دينهما أمامهما؛ لأن المقام ليس مقام رد ولا استفزاز ولا حساب، بل مقام بلاغ، والحق إذا تبين فليس بالضرورة أن يجهر بشتم الباطل الذي يدين به الشخص المقابل"^(١).
 ثم قال لهم: ﴿ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ و"إنما قال ذلك تمهيدا للدعوة، وإظهارا أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق به"^(٢).

(١) من تدرجات الشيخ ناصر العمر عند الآية في مجموعة ليدبروا آياته.

(٢) البحر المديد لأحمد بن محمد بن المهدي ٢ / ٥٩٦.





وكان يناديهم ببناء الصحبة، ﴿يَصَدِّجِي السَّجْنَءَ رَبَابٌ مُتَفَرِّقَاتٌ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وهذا من آداب الحوار وفنونه المهمة.

وكذلك فن الحوار مع إخوته، ومن نماذج ذلك ضبط النفس والبعد عن ردود الفعل الناتجة عن الاستفزاز أثناء الحوار، "فيوسف آذاه إخوانه، وألقوه في بئر حتى سيق مملوكاً بثمن بخس، وسجن سنين، ثم بعد ذلك يصبح عزيز مصر، قال إخوته: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، يقصدون يوسف، فماذا فعل؟ انظروا إلى ضبط النفس: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧] حتى إنه لم يرد جرح مشاعرهم بهذه الكلمة؛ فقالها سراً في نفسه" (١).

وهذا وغيره من أساليب الحوار وفنونه التي علمها الله يوسف عليه الصلاة والسلام، ولم نذكرها اختصاراً فالمقام ليس للحصر وإنما لإبراز هذا الجانب.

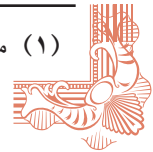
المطلب الثالث

الرعاية الأسرية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى الأسرية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية

١ - هياً الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام أباً نبياً يتعلم منه، ويخاف عليه، ويحذره من كيد الكائدين واعتداء المعتدين، فحذره أن يقص رؤياه على إخوته، قال تعالى: ﴿قَالَ بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

(١) من تديرات الشيخ ناصر العمر عند الآية في مجموعة ليدبروا آياته.





"نصحه بالألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير - غير الشقيق - فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلىء نفوسهم بالحق، فيدبروا له أمراً يسوؤه".
٢ - ورفض والده أن يرسله مع إخوته ليلعب معهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّمْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٣]. إلا أن مشيئة الله فوق كل شيء.

هياً الله له أخاً يخاف عليه وكان سبياً في نجاته من القتل، فعندما قال إخوة يوسف: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: ٩]. فقال هذا الأخ: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي عَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [يوسف: ١٠]. "فإن قتله أعظم إثماً وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، وهذا القائل أحسنهم رأياً في يوسف، وأبرهم وأنقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل"^(١).

٣ - عوضه الله بفقد أهله بسبب حسد إخوته أن يترى في بيت عزٍّ وملك، وهو بيت العزيز، وأن يتخذوه ولدًا لهم يحمونه ويحرصون عليه أشد الحرص والرعاية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٣٩٤.





" وإكرام مثواه كناية عن إكرامه على أبلغ وجه وأتمه؛ لأن من أكرم المحل بإحسان الأسرة، واتخاذ الفراش ونحوه، فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به.. وكما جعلنا له مثوى كريماً في منزل العزيز وقلبه، جعلنا له تصرفاً بالأمر والنهي، ومكانة رفيعة في أرض مصر، ووجاهة في أهلها، ومحبة في قلوبهم، ليكون عاقبة ذلك تعليمه تأويل الرؤيا التي ستقع من الملك، وتنفضي بيوسف إلى الرياسة العظمى" (١).

" والمثوى مكان الثويّ والمبيت والإقامة، والمقصود بإكرام مثواه إكرامه، ولكن التعبير أعمق، لأنه يجعل الإكرام لا لشخصه فحسب، ولكن لمكان إقامته.. وهي مبالغة في الإكرام. في مقابل مثواه في الجب وما حوله من مخاوف وآلام!"

٤ - جعل الله له أخا يؤنسه في غربته، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦].

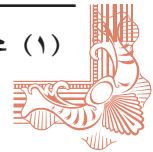
المطلب الرابع

الرعاية الدعوية ليوست عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى الدعوية ليوست عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - فقد علمه الله تعالى فقه الدعوة الإقناع والتدرج في الدعوة والبدء بالمهم في أمور الدعوة، ويظهر أثر هذه الرعاية في حديثه مع الفتيان في السجن، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَا بُنَيَّ كُفَّ

(١) محاسن التأويل للقاسمي ١٦٣/٦.





طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدِحِي السَّجْنِ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْرٌ لِلَّهِ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿يوسف: ٣٧-٤٠﴾.

٢ - علمه ربه الاستفادة من الفرص، فإن يوسف عليه السلام حين طلب منه صاحبه في السجن أن يعبر رؤياهما وبدت له حاجتهما إليه؛ قصد أن يدعوهما إلى الإيمان في هذه الحال؛ ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما^(١).

قال ابن كثير رحمته: "وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال؛ لأن نفوسهما معظمة له، منبعثة على تلقي ما يقول بالقبول، فناسب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه..."^(٢).

٣ - علمه الله تعالى أن وصوله إلى الناس وإلى قلوبهم يجب أن يقوم على النظر في مصالحهم وخدمتهم، فاتخذ الحكم وتأويل الرؤيا وعلمه بها طريقاً يسلكه في الدعوة إليه، وهذا من تربية الله له أن جعله يستغل

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي في تفسير ص ٣٩٧.

(٢) البداية والنهاية ١ / ٢٠٧.



المواقف في الدعوة. ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ [يوسف: ٣٧].

وسأل يوسف عليه السلام منصب حافظ خزائن مصر؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] وذلك ليحفظها من الضياع؛ وقد كان الناس مقبلين على سبع سنين شداد؛ وكذا ليتوصل بذلك إلى نشر العدل ورفع الظلم؛ ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان^(١).

ومن هنا تحدث العلماء حول جواز طلب المرء الولاية لنفسه إن علم أنه كفاء لها ولا يوجد غيره، وليتوسل بها إلى تبليغ الدعوة وتحقيق العدل.

٤ - هياً الله له أصحاباً في السجن يدعوهم ويعلمهم ويأنس بهم، وكان أحدهم سبباً في إخراجه من السجن وحكمه لمصر بالعدل والحق ونشر دعوة الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنذِرَكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ [يوسف: ٤٥].

٥ - اختياره الصبر ودخول السجن على الاستجابة لمكر النساء والعيش بأمان ودعة خارج السجن. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

٦ - تربيته على أن يكون قدوة حسنة للمدعوين، فكان عليه



الصلاة والسلام قدوة حسنة بفعاله قبل أن يكون قدوة بأقواله؛ ولم يؤثر عامل الزمان والمكان على ذلك؛ ففي السجن قال له صاحبه:

﴿ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقال له إخوته وهو عزيز مصر: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ؛ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٧٨].

وقبل ذلك وبعده قال له ربه عز وجل: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

المطلب الخامس

الرعاية الأمنية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يشير الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ [يوسف: ٢٤] إلى عموم السوء، فقد صرف الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام كثيرا من السوء وهذا من معية الله له. ويمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى الأمنية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

برز ذلك في حفظ الله له من المهالك التي مرّ بها عليه الصلاة والسلام، وذلك عندما:

١ - نَجَّاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ قَتْلِ إِخْوَتِهِ لَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي عَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [يوسف: ١٠].

"فهذا القائل أحسنهم رأيا في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل"^(١).



(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٩٤.





٢ - أنجاه الله وأخرجه من البئر قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبشَرِي هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ [يوسف: ١٩].

٣ - أنقذه الله بشهادة الشاهد لما مكرت به امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [يوسف: ٢٦-٢٨].

٤ - أنجاه الله تعالى وأخرجه من السجن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ [يوسف: ٥٤].

المطلب السادس

الرعاية المهارية ليوسف عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله سبحانه وتعالى المهارية ليوسف عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

لقد أعطى الله يوسف عليه الصلاة والسلام القدرة والمهارة الكافية على:

١ - تأويل الرؤيا:

تأويل الأحاديث علم ومهارة، قال تعالى: ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٢١].

٢ - الحكم والإدارة:

فقد أعد الله تعالى يوسف عليه السلام للحكم والإدارة وخصوصاً في المجال الاقتصادي، فكان ذلك مؤهلاً لأن يحتاجه عزيز مصر، وأن يبين له كيف يكون ذلك، ويطلب منه أن يكون مسؤولاً عن الخزائن،





قال تعالى: ﴿ قَالَ نَزَّرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ ۖ
إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا كُلَّنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ
إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَعَصْرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩].

٣ - التميز بالحفظ والأمانة والعلم بالصناعة:

فالحفظ والعلم هي عنصر النجاح في مثل هذه المسئوليات، ولذا
مكنه عزيز مصر من ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَحْضِرُهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٥].

٤ - حسن الإدارة والتدبير:

ويظهر أثر هذه الرعاية عندما طلب يوسف من إخوته إحضارهم
لأخيه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ
أَيِّكُمْ أَلَّا تَرَوْا إِنِّي فِي أَوْفَى السَّمَاءِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يوسف: ٥٩].
وكذلك عندما أراد بقاءه عنده، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ
بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ
إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾
قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ
رَءِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٢].

٥ - حسن الخطاب:

ويظهر ذلك في جوابه العزيز، وطلب السجن، ودعائه
ودعوته، وخلاصه من التهمة، واستدراج إخوته ليأتوه بأخيه،
وإقناعهم بوجوب بقاء أخيه عنده من غير أن يشعر بأنه يوسف.
وكذلك يظهر بحسن خطابه مع الله، ونسبة الفضل لله، وعدم
التشكي إلا له سبحانه وتعالى.





المطلب السابع رعاية الله ليوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته من خلال والدهم يعقوب عليه الصلاة والسلام

يمكن إيجاز رعاية الله تعالى ليوسف وإخوته من خلال والدهم عليهم الصلاة والسلام في النقاط التالية:

أولاً: الرعاية الأمنية؛ والتمثلة في:

١ - الحفاظ على يوسف من كيد إخوته وحسداهم، فقد قال له أبوه عندما قص عليه رؤياه ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف ٥].

٢ - محاولته عليه الصلاة والسلام عدم دفع يوسف لإخوته عندما طلبوه أن يذهب معهم للعب، ولكنهم ألقوا على أبيهم وبينوا أنهم سيحافظون عليه، فقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف ١٣].

ففي المرّة الأولى حذر يوسف، وفي المرّة الثانية قام هو بالدفاع عنه ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف ٢١].

٣ - حذّر أبوه إخوته أن يدخلوا من باب واحد لئلا يجسدوا على كثرتهم: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٦٨].

٤ - حرصه على أخي يوسف من الضياع والإهمال: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظْتُ ﴾



وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ [يوسف ٦٤]، إلى قوله: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا
ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ [يوسف ٦٦].

٥ - أمر أبناءه بالاستمرار والجد في البحث عن يوسف
وأخيه: قال تعالى: ﴿ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ
وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَمُ
الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ثانياً: الرعاية التربوية العلمية:

فقد بشر يعقوب عليه الصلاة والسلام ابنه يوسف عليه
الصلاة والسلام وأخبره أنه سيكون له شأن في المستقبل كما كان
لآبائه ليستعد لذلك الحمل العظيم بالعلم والصبر على المكروه؛
قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئِلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾ [يوسف ٦].

وقد ظهرت جوانب تلك التربية وآثارها في كل مراحل القصة
ومن ذلك:

- تربيتهم على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، قال
تعالى: ﴿ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَاَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

- تربيتهم على عدم اليأس، وحسن الظن بالله، قال تعالى:
﴿ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْأَقْوَمُ
الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

- تربيتهم على اللجوء إلى الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦].

- تربيتهم على أهمية العقود والمواثيق، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦].

- الإجمال فيما لا يحسن التفصيل فيه، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ عَلَى قَيْصِهِ يَدُورٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]. وكذلك فعل يوسف مع إخوته قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٧].

- تربيتهم على الحذر من مسالك الشيطان، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥].

- تربيتهم على اللطف في العتاب، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤] قالوا تالله إنك لفي ضلالتك الكدِيرِ ﴿٩٥﴾ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه، فازتد بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴿٩٦﴾ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خطيئين ﴿٩٧﴾ قال سوف استغفر لكم ربِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ [يوسف: ٩٤ - ٩٨].

- تربيتهم على قوة الصبر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦] وقوله: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣].



المبحث الرابع رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام

تتمثل رعاية الله سبحانه وتعالى لداود عليه الصلاة والسلام أن أعطاه الله تعالى فضائل كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠].

وهذا الفضل الذي أعطاه الله تعالى لداود هو بمثابة الرعاية له، ويبين الله تعالى هذا الفضل الذي تفضل به على داود في آيات كثيرة يمكن إجمالها في المجالات التالية:

المطلب الأول الرعاية التربوية لداود عليه الصلاة والسلام

ويتضح هذا الجانب من خلال قصة الخصمين والتعقيبات عليها:

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)﴾ [ص: ٢١ - ٢٦].

"فقد أرسل الله سبحانه وتعالى لنبيه داود عليه الصلاة والسلام





ملكين للامتحان، فدخلوا عليه من غير باب المحراب، ففرع منهم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، لدخولهما عليه من غير الباب الذي منه المدخل، وقيل لأنهما دخلا عليه ليلاً^(١).

"فقال أحد الخصمين: نحن خصمان تعدى أحدهما على صاحبه بغير حق، فاقض بيننا بالعدل، ولا تجر، ولا تسرف في حكمك بالميل منك مع أحدهما على صاحبه، وأرشدنا إلى الطريق المستقيم.

ثم بدأ يذكر سبب المخاصمة فقال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي انزل لي عنها وضمها إلي، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: وكان أعز مني في مخاطبته إياي؛ لأنه

إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشد مني فقهرني، فقال داود عليه الصلاة والسلام للخصم المتظلم: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى فَعَاجِهِ﴾ ثم قال: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى

بَعْضٍ﴾ أي: وإن كثير من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض، ثم استثنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي:

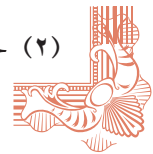
وقليل ما تجد ذلك الصنف من الناس^(٢).

فمن هذه القصة يمكن استخراج تربية الله تعالى لنبية داود عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على قبول الحق والموعظة من كل أحد، فإن الخصمين نصحا داود بقولهما: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ فلم يشمتز ولم يغضب، ولم يثنه ذلك عن الحق.

(١) جامع البيان للطبري ٢٠/٥٣ - ٥٤ مختصرا.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٠/٥٤ - ٧٥.





٢ - تربيته على الصبر والحلم مع العفو على ما يفعله الناس من أمور مخلة في حق الداعية، فلم يمنع داود عليه الصلاة والسلام سوء أدب الخصمين ودخولهما عليه من غير استئذان من أن يقضى لهم حاجتهما وهذا هو الواجب على الداعية، وكذلك ما غضب عليها حين جاءه بغير استئذان ولا انتهرهما ولا وبخهما.

٣ - تربيته على العدل وتحمل المسؤولية، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٦٦) أي: ”يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا، حكماً بين أهلها فاحكم بينهم بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى وتؤثره في قضائك بينهم على العدل والحق فتجور عن الحق فتكون من الهالكين“^(١).

٤ - تربيته على عدم التسرع في إصدار الأحكام، فقد عاتب الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام ليس على حكمه وإنما على تسرعه في الحكم وعدم سماعه من الطرف الآخر: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٦٦).

(١) المصدر السابق ٧/ ٥٤ - ٧٧.





٥ - تربيته على الاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤)، وقد مدحه الله تعالى بذلك فقال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]. "أي: رجاع إلى الله في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح"^(١).

المطلب الثاني

الرعاية العلمية لداود عليه الصلاة والسلام

قال تعالى في نهاية قصة قتل داود عليه الصلاة والسلام لجالوت: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة ٢٥١]. قال الماوردي: "يريد بالحكمة: النبوة. ويحتمل أن الحكمة: العدل في سيرته"^(٢).

قال ابن كثير: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي: مما يشاء من العلم الذي اختص به ﷺ^(٣). وقال السدي: «والذي علمه: هو صنعة الدروع ومنطق الطير، وغير ذلك من أنواع ما علمه ﷺ^(٤)».

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١١.

(٢) النكت والعيون للماوردي ١٩٨/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٦/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٥/٣.



وقال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء ٧٨ - ٧٩]. قال الألوسي: "آتينا كل واحد منها طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منها كصناعة لبوس ومنطق الطير، وخصها مقاتل بعلم القضاء^(١)، وابن عطاء: بالعلم بالله عز وجل"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ. وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وهذا العلم اختص به الله تعالى داود عن غيره من الأنبياء مناسبة لحاله، وليبيته ولقومه، فالله تعالى يختص بعض الأنبياء ويعلمهم ما لا يعلم غيرهم.

وهذا النوع من الرعاية شمل ذريته من بعده، فقد رزقه الله تعالى بأبناء كثر ومن خيرهم سليمان عليه الصلاة والسلام فقد اصطفاه الله تعالى بالنبوة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

(١) وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان ص ٤٧١، ومعالم التنزيل للبخاري ١٤٧/٦.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٦٩/١٩.



قال ابن كثير: "أي: في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر، وقوله: ﴿نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ثناء على سليمان، عليه الصلاة والسلام، بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل" (١)، وقال السعدي: "أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه" (٢).

المطلب الثالث

الرعاية المهارية لداود عليه الصلاة والسلام

وذلك بأن أعطاه الله عوامل التمكين، ومنها:

١ - آتاه الله الملك:

قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].
وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ءَوَّاءَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

قال الماوردي: "يريد بالملك السلطان وكان ذلك عند موت طالوت بعد سبع سنين من قتل جالوت على ما حكاه ابن السائب" (٣)، "أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل" (٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٦٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٢.

(٣) النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٢٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٠٨.





وهذا الملك كذلك من التمكين في الأرض الذي يجعله يسخر
هذا التمكين في رعاية طلاب العلم.

٢ - سَخَّرَ اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ وَالْحَدِيدَ:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ
وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدِرٍ فِي السَّرْدِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

وقال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٧ - ١٨].

وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ
﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وهذا التسخير إعانة له على الدعوة إلى الله وطلب
العلم فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغلون كل الفرص المتاحة في
خدمة رسالتهم التي بعثهم الله بها.

٣ - عَلَّمَ اللهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صِنَاعَةَ الدَّرْعِ:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنَاعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ
مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

"فالضمير في قوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ راجع إلى داود، والمراد
بصناعة اللبوس: صناعة الدروع ونسجها. والدليل على أن المراد
باللبوس في الآية الدروع: أنه أتبعه بقوله ﴿لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ
بِأْسِكُمْ﴾ أي: لتحرز وتقي بعضكم من بأس بعض، لأن
الدرع تقيه ضرر الضرب بالسيف، والرمي بالرمح والسهم،





كما هو معروف. وقد أوضح هذا المعنى بقوله: ﴿وَأَلْنَا لَهُ
الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَبِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠
- ١١]، فقوله ﴿أَنِ اعْمَلْ سَبِغَاتٍ﴾ أي: أن اصنع دروعاً سابغات
من الحديد الذي ألتناه لك^(١). "فالمراد بها الدروع ونحوها، مما يقي
لابسه وقع السلاح، ويسلمه من بأسه. وقد بين الله أيضاً هذه النعمة
الكبرى، واستحقاق من أنعم بها لأن يشكر له في هذا الموضع"^(٢).

٤ - علم الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام أن يأكل من عمل يده:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحِصِّنَكُم مِّنْ
بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] استشهد القرطبي بهذه الآية
على "أكل الرجل من عمل يده، قال عليه السلام: ((إن أطيب ما أكل الرجل من
عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))^(٣)^(٤).
وقال أبو حيان: "وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه
إليه تعالى"^(٥).

و"قال قتادة: إنها كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من
سردها حلقة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي

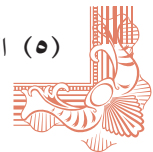
(١) أضواء البيان ٤/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) أضواء البيان ٢/ ٤٢٠ بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده
(٢٠٧٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ١٠٨.

(٥) البحر المحیط ٨/ ١٧٩.





مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ [سبأ: ١٠ - ١١]. أي لا
توسع الحلقة فتتلق المسمار ولا تغلظ المسمار فتتقد الحلقة" (١).

٥ - علمه الله سبحانه مهارة القضاء والإصلاح بين الناس:

قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ

﴿٢٠﴾ [ص: ٢٠].

قال ابن كثير: "قال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه،
وقال مجاهد أيضا: هو الفصل في الكلام وفي الحكم" (٢)، وقال
السعدي: "أي: الخصومات بين الناس" (٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٥٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١١.





المبحث الخامس

رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام

تميز نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام عن باقي الأنبياء بعظم ملكه، وهذا الملك مع النبوة يحتاج إلى تأهيل ورعاية خاصة حظي بها هذا النبي من ربه جل وعلا، تظهر من خلال ثمرتها ومواقف سليمان عليه الصلاة والسلام في دعوته.. نجملها في النقاط التالية:

المطلب الأول

الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام

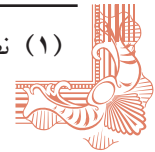
يمكن إبراز معالم الرعاية التربوية من الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

أولاً: تربيته على الدعاء:

ويظهر أثر هذه التربية في كثرة تضرع ودعاء سليمان عليه السلام ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]

أي: "اجعلني وازعاً أي فقيراً إلى الشكر، أي ملازماً له مولعاً به، لأن كل فقير إلى شيء مجتهد في تحصيله، ويلزم على هذا الترخيع احتقار العمل، فيكون سبباً للأمن من الإعجاب"^(١).

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/٤١٧.





إنه "يضرع إلى ربه بهذا الدعاء وهو النبي الذي أنعم الله عليه وسخر له الجن والإنس والطير. غير آمن مكر الله - حتى بعد أن اصطفاه. خائفاً أن يقصر به عمله، وأن يقصر به شكره.. يستعين بربه كذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه. وهو يشعر أن العمل الصالح توفيق ونعمة أخرى من الله ثم يدعو بالدخول في عباد الله الصالحين، لأن الدخول في عباد الله الصالحين رحمة من الله، تتدارك العبد فتوفقه إلى العمل الصالح، فيسلك في عداد الصالحين.

بهذا النداء القريب المباشر المتصل... ﴿أَوْزَعِي﴾ اجمعني كلي. اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناتي وخواطري وخلجاتي، وكلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي. اجمعني كلي. اجمع طاقاتك كلها. أولها على آخرها وأخرها على أولها لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ وعلى والدي.. وكذلك تكون الحساسية المرهفة بتقوى الله وخشيته والتشوق إلى رضاه ورحمته في اللحظة التي تتجلى فيها نعمته."

بل رباه على علو الهمة في الدعاء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص ٣٥]. "في هذه الآية أدب من آداب الدعاء: وهو تعظيم الرغبة، وعلو الهمة في الطلب، فسليمان لم يكتف بسؤال الله المغفرة، ولكنه - لعلو همته وعلمه بسعة فضل ربه - سأله مع ذلك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأجاب الله دعاءه، وسخر له الريح، والشياطين، بل وله في الآخرة زلفى وحسن مآب" (١).

ثانياً: تربية على الشكر والتفنن فيه:

ظهر أثر هذه التربية من خلال عدد من المواقف، ومن ذلك:

(١) من تديرات د. محمد الحمد ضمن مجموعة ليدبروا آياته.





١ - التصريح بشكر الله واعترافه بنعم الله تعالى:

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل ١٥] "وهذا عنوان سعادة العبد: أن يكون شاكرًا لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً"^(١).

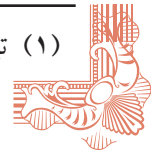
وقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمًا مِّنْ مَّنْطِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل ١٦].

ولما أرسلت إليه ملكة سبأ بهدايا، ذكر نعمة الله عليه وشكرها باعترافه بالنعم ونسبها لله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل ٣٦].

ولما أراد أن يأتي بعرش ملكة سبأ ووجده أمامه شكر نعمة الله تعالى كذلك واعترف بها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل ٤٠].

"لقد لمست هذه المفاجأة الضخمة قلب سليمان - عليه الصلاة والسلام - واستشعر أن هذه النعمة ابتلاء ضخم مخيف يحتاج إلى يقظة، ويحتاج إلى عون من الله ليتقوى عليه ويحتاج

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦٠٢.





إلى معرفة النعمة والشعور بفضل المنعم، ليعرف الله منه هذا الشعور فيتولاه".

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ [النمل: ٤٠]. حيث أنه "ولما ذكر الفضل أضافه إلى الله بعنوان كونه ربه لإظهار أن فضله عليه عظيم إذ هو عبد ربه" (١).

٢ - طلب سليمان عليه الصلاة والسلام من الله تعالى الإعانة على الشكر:

كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [النمل: ١٨ - ١٩] أي: "ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والذي بالإسلام لك، والإيمان بك، ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ أي: عملا تحبه وترضاه، ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك" (٢).

"ويروى عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إذا علمت أن ما بك من نعمة فمني فقد شكرتني" (٣).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩ / ٢٧٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ١٨٣.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥ / ٤١٧.





ثالثاً: تربيته على التوبة والإنابة لله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ [ص ٣٠-٣٥].

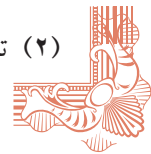
فقوله: ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ "أي كثير الرجوع إلى الله تعالى، بالتوبة والإنابة"^(١).

وفي قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ "بدأ بطلب المغفرة قبل طلب الملك العظيم؛ وذلك لأن زوال أثر الذنوب هو الذي يحصل به المقصود، فالذنوب تتراكم على القلب، وتمنعه كثيراً من المصالح، فعلى المؤمن أن يسأل ربه التخلص من هذه الذنوب قبل أن يسأل ما يريد"^(٢).

وقد مدح الله تعالى والده داود فقال تعالى: ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧] إشارة إلى أن صلاح الأب يأتي بالخير على الأبناء وهذا من عناية الله تعالى بسليمان عن طريق والده داود عليها الصلاة والسلام.

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢٥٦/٨.

(٢) تفسير سورة ص لابن عثيمين صفحة ١٦٧.





رابعاً: التربية على التواضع للعلم ولمن هو أعلم:

ويظهر أثر هذا الجانب المهم من التربية من موقفه من الهدهد الذي قال له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتْكَ مِنْ سَبِّ ابْنِي يَقِينٌ﴾ [النمل: ٢٢].

"أي: عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه"^(١).

"سليمان - الذي أوتي النبوة والملك - قال له الهدهد ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ فتواضع سليمان وقبل الحق؛ فكان سبب إسلام مملكة كاملة"^(٢)، وهذا فيه "التنبيه على أن أضعف الخلق قد يؤتي ما لا يصل إليه أقواهم لتتحاقر إلى العلماء علومهم ويردوا العلم في كل شيء إلى الله"^(٣).

خامساً: تربيته على القناعة بما رزقه الله وعدم الخضوع للمغريات

الدنيوية:

وظهر أثر هذه التربية في موقفه من هدية ملكة سبأ، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] فلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٥ - ٣٦]. "ففي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله. مجال العقيدة والدعوة".

"إنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل، وهي الرشوة التي لا تحل

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦٠٢.

(٢) من تديرات د. ناصر العمر ضمن مجموعة ليدبروا آيته.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٤١٩/٥.





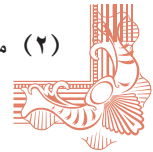
لذلك ردها سليمان، وأما الهدية المطلقة للتجيب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال، وهذا ما لم يكن من مشرك" (١).
وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾؛ "لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي؛ لأن الله تعالى قد مكّني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة" (٢).

سادساً: تربيته على التثبت من الأخبار:

ويظهر أثر هذه التربية في موقفه من الهدهد لما أخبره أنه عنده علم يقين ليس عند سليمان، قال تعالى: ﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) [النمل: ٢٧-٢٨] "فلم يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاء به. إنما يأخذ في تجربته، للتأكد من صحته. شأن النبي العادل والملك الحازم".

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦ / ١٥٩.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٣ / ٤٠١.





المطلب الثاني

الرعاية العلمية لسليمان عليه الصلاة والسلام

يمكن إبراز معالم الرعاية العلمية من الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

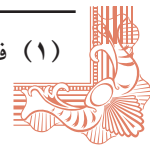
(١) تعليم الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَالْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: ١٥ - ١٦].
"فإن الله تعالى آتى داود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك - في صدر الآية - إلا العلم؛ لبيان أنه الأصل في النعم كلها!"^(١).

"لا يذكر هنا نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار. وللايجاء بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه".

(٢) تفضيل الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام بالعلم والفهم:

قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].





فقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ قال القرطبي: "في الآية تفضيله له على داود، وفضيلته راجعة إلى داود والوالد تسره زيادة ولده عليه" (١).

فلقد أوتي داود وسليمان الحكمة والعلم، فليس في قضاء داود من خطأ، ولكن قضاء سليمان كان أصوب، قال الحسن: "كان الحكم بما قضى سليمان ولم يعنف الله تعالى داود في حكمه" (٢).

المطلب الثالث

الرعاية المهارية لسليمان عليه الصلاة والسلام

وذلك بأن أعطاه الله عوامل التمكين، ومنها:

(١) آتاه الله تعالى الملك:

وقال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. والملك وإدارة الأمور من أهم المهارات التي يحتاجها الداعية في دعوته للناس وقيادتهم.

(٢) تربيته على الإتقان في العمل ومتابعته الرعية بنفسه:

قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٨/١١.

(٢) جامع البيان للطبري ٣٢٨/١٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٦/٥، الدر المنثور للسيوطي ٣٢٥/٤.





"ففي هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يَحْفَ على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر، فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان"^(١).

"ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم. فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع آخره على أوله كي لا يتفرق وينتكث".

٣) رعاية التسخير والنصرة والتأييد:

سخر الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام كل شيء من الجن والإنس والطير والريح، وجاءت هذه الرعاية في عدة آيات قرآنية، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: ٨١ - ٨٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرًا وَرَوَاحُها شَهْرًا وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نَذْقُهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ، مَا يَشَاءُ مِّنْ مَّحْرَبٍ وَتَمْثِيلِ وَجْهَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَأْسِيَّتِ أَعْمَلُوا عَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٢-١٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦ / ١٣١.



وأكدت هذه الرعاية من التسخير والنصرة آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٠﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠].

وتتضح الشمولية في هذا التسخير من خلال قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل ١٧].

قال ابن سعدي: "لما ذكر فضله على داود عليه الصلاة والسلام، ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين. ﴿ وَاسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرًا ﴾ أي: أول النهار إلى الزوال ﴿ وَرَوَّاحها شَهْرًا ﴾ من الزوال، إلى آخر النهار ﴿ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْفَطْرِ ﴾ أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها.

وسخر الله لسليمان، الشياطين والجن، لا يقدر أن يستعصوا عن أمره، ﴿ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ وأعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه ﴿ مِنْ مَّحْرَبٍ ﴾ وهو كل بناء يعقد، وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، ﴿ وَتَمَثِيلَ ﴾ أي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم، وقدرتهم على ذلك وعملهم لسليمان ﴿ وَحِفْانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، ويعملون له قدورا راسيات لا تزول عن أماكنها، من عظمها" (١).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٦٧٦.



المطلب الرابع الرعاية الدعوية لسليمان عليه الصلاة والسلام

١ - تعليمه الدعوة إلى التوحيد:

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٣-٢٦].

فهذا الموقف يدل على عناية سليمان عليه الصلاة والسلام بالتوحيد وغرسه في قلوب رعيته ومسارعتهم في تغيير أي مظهر من مظاهر الشرك.

٢ - حرصه على الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُنُوفِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٩-٣١]. فبمجرد وصول خبر البلدة التي تشرك بالله تعالى أرسل إليهم مباشرة من يدعوهم إلى الله تعالى.

"وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام؛ فإنه تضمن نبيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها، والانقياد لأمره، والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه، ودعوتهم إلى الإسلام"^(١).





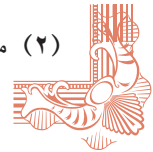
ولذا كان "هذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة؛ فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها"^(١). ف"الكتاب برسالته لا بكثرة كلماته"^(٢)!

٣ - تعليمه مهارة الإقناع الدعوي وإقامة الحججة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَنَّهُ دِيءٌ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ^(٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ^(٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤٤) ﴿ [النمل: ٤١ - ٤٤]. فهنا أراد أن يدعوها للتوحيد بأن يظهر لها من قوة الله وقدرته، ونعمه، وعظمتها ما يبهرها.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٤٩.

(٢) من تديرات د. محمد الربيعة - مجموعة ليدبروا آياته.





المبحث السادس

رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام

قص الله تعالى في القرآن أبرز مرحلة من حياة أيوب عليه الصلاة والسلام، التي تمثل تسلية لكل الناس عامة وللدعاة خاصة، يبرز الله فيها مدى رعايته لعبده وما وصل إليه من تربية تجعله يتحمل هذا البلاء، وما جازاه الله على هذا الصبر العظيم.. ونبرز هذه الرعاية الربانية لأيوب عليه الصلاة والسلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

رعاية الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام

من خلال ابتلائه

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١-٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

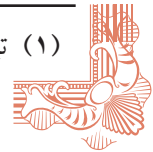




ومعنى الآيات: "واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب - مثنيا
معظماً له، رافعاً لقدره - حين ابتلاه، ببلاء شديد، فوجده صابراً
راضياً عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله،
وامتحاناً فنفخ في جسده، فتقرح قروحاً عظيمة ومكث مدة
طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه:
رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فتوسل إلى الله
بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه
الواسعة العامة فاستجاب الله له، وقال له: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا
مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾. فركض برجله فخرجت من ركضته عين
ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى،
﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ﴾ بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئاً
كثيراً، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ به، حيث صبر ورضي، فأثابه الله ثوابا
عاجلاً قبل ثواب الآخرة.

﴿وَذَكَرَ لِلْعَائِدِينَ﴾ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين
ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد
زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر" (١).





المطلب الثاني

الرعاية التربوية لأيوب عليه الصلاة والسلام

يمكن بيان جوانب رعاية الله تعالى لأيوب عليه السلام في النقاط التالية:

١ - تربيته على اللجوء لله تعالى:

ويظهر أثر هذه الرعاية في ثناء الله عليه بقوله: قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ "أي: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه، فنَادَى رَبَّهُ داعياً، وإليه لا إلى غيره شاكياً - وقال تعالى عنه في ختام الآيات: ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ - أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله"^(١).

٢ - تربيته على حسن الأدب في الدعاء:

ويظهر أثر هذه الرعاية على حسن الأدب في الدعاء وفي ثناء الله عليه بقول: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]. وبقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. قال السعدي: "فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة"^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٤ بتصرف واختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٤.





"فجمع في دعائه بين التوحيد، وإظهار الفقر، وطعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة.. ومتى وجد المتبلى هذا كشفت عنه بلواه!"^(١).

"وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَيُّ مَسْنَى الضَّرِّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ثم لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئاً على ربه، تأدباً معه وتوقيراً، بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله إليه، اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال" "ولم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين"^(٢).

"فوصف نفسه؛ ووصف ربه؛ بوصف يتضمّن سؤال رحمته بكشف ضره، وهي صيغة خبر تضمّنت السؤال، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال"^(٣).

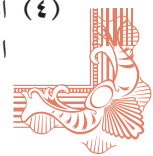
ويظهر أدبه عليه الصلاة والسلام أيضا حين لم ينسب ما حل به من البلاء إلى الله، مع أن الأفعال كلها خيرها وشرها؛ خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكرا، وإن كان موجودا منه خلقا، وهذا أدب أدبنا به ربنا عز وجل، ويعلمنا إياه هنا سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام، ومنه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]^(٤).

(١) الفوائد لابن القيم ص ٣٠١.

(٢) من تديرات د. عبدالله بن قاسم ضمن مجموعة ليدبروا آيته.

(٣) دقائق التفسير، ابن تيمية: (٢/ ٣٦٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥ / ٢١٠، وأيضا: الاستفادة من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان: ١ / ٤٥١.





٣ - تربيته على الصبر على البلاء:

ويظهر أثر هذه الرعاية في ثناء الله عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ﴾ قال ابن كثير: "يذكر تعالى عن أيوب، عليه الصلاة والسلام، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحراث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده.. وقد كان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام، غاية في الصبر، ففرج الله عنه، وعظّم له الأجر، وأحسن عليه الثناء"^(١).

فقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ أي: "ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى"^(٢). ف"مقام الصبر لا يساويه شيء، لأن الطريق إليه سبحانه لا ينفك شيء منه عن صبر وقهر للنفس وجبر، لأنها بالإجماع خلاف ما تدعو إليه الطبائع"^(٣).

٤ - تربيته على التوبة والرجوع إلى الله:

ويظهر أثر هذه الرعاية في ثناء الله عليه بقوله: ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: "إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجّاع"^(٤). فهو "رجّاع منيب"^(٥). "كثير الرجوع إلى الله تعالى، بالتوبة والإنابة"^(٦).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٩ / ٥ باختصار.

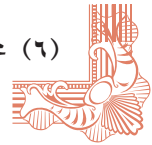
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٦ / ٣٩٠.

(٤) جامع البيان للطبري ٢١ / ٢١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧ / ٧٦.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٨ / ٢٥٦.





المطلب الثالث

الرعاية الصحية والاجتماعية

لأيوب عليه الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى الصحية والاجتماعية لأيوب عليه الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - شفاؤه من بعد مرضه: وجعل سبب ذلك دعاءه وإنابته

لربه، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ

ضُرِّ ﴿ [الأنبياء: ٨٤].

٢ - دعوته للسعي لعلاج نفسه: وبين له الطرق لذلك، قال

تعالى: ﴿ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

[ص: ٤٢] "أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عينٌ

تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل

ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى" (١).

وهذا فيه تربية لأيوب عليه الصلاة والسلام ومن بعده "بأنه

سبحانه وتعالى يجري أقداره على أسباب يقوم بها الناس، فإنه قادر

على شفاء أيوب عليه الصلاة والسلام بقوله "كن" "فيكون"،

ولكنه جل جلاله أمره أن يضرب الأرض بقدمه لينبع الماء فيشرب

منه ويغتسل؛ فيزول بذلك ما حل به داء باطني وخارجي" (٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧١٤.

(٢) دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد غلوش ١/ ٢٥١.





٣ - تعويض الله له: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] قال الحسن وقتادة: أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم^(١).

٤ - إصلاح الله ما بينه وبين زوجته: قال تعالى: ﴿وَخَذُ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

قال ابن كثير: "وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: إنها باعت ضفيريها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضعفاً - وهو: الشِّمْرَاخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأتاب إليه ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢)، فأصلح الله له زوجته، وأصلح ما بينه وبينها من المغاضبة وأسبابها.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢١ / ٢١٢، وابن كثير تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧ / ٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧ / ٧٦.





المبحث السابع

رعاية الله لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

نبي الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، قد حظيا برعاية ربانية من الله تعالى سجلها القرآن الكريم ليستلهم منها الدعاة والمصلحون والمربون منهجا عمليا في التربية والرعاية والتوجيه. ويمكن بيان رعاية الله تعالى لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

الرعاية التربوية والعلمية

لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى التربوية والعلمية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - التربية على العبودية لله تعالى:

من ثمرة تربية الله تعالى لذكريا ويحيى عليهما السلام على العبودية، وصف الله زكريا بالعبودية في قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢].

وجمع بينه وبين يحيى في مظاهر تلك العبودية في قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥]، وفي قوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ

وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ





وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿ [الأنبياء: ٩٠]

فالمسارعة في الخيرات والصلاح في الدين أوصلتهم لمرتبة العبودية. ومن مظاهر عبوديته ما ذكره الله تعالى من كثرة عبادته في قوله: ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلْتِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى ﴿** [آل عمران ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿** [مريم: ١١]، فقد جاءه الفرج من الله وهو قائم لله تعالى متجها إليه، فالتعبير بالقيام لله تعالى يشير إلى الاجتهاد في العبادة.

ومن مظاهر العبودية التقوى التي وصف الله بها يحيى بقوله: ﴿ **وَكَانَ تَقِيًّا ﴿** [مريم ١٣] "موصولاً بالله، متقياً له، مراقباً له، يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه. ذلك هو الزاد الذي آناه الله يحيى في صباه، ليخلف أباه كما توجه إلى ربه وناداه نداء خفياً. فاستجاب له ربه ووهب له غلاماً زكياً".

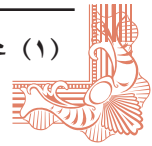
٢ - تربيته على كثرة الذكر والدعاء وأدب المناجاة لربه:

قال تعالى: ﴿ **وَأذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿** [آل عمران ٤١] "قال محمد بن كعب: لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لذكريا لأنه منعه من الكلام وأمره بالذكر"^(١).

وظهرت ثمرة هذه التربية في دعاء زكريا عليه الصلاة والسلام ومناجاته لربه، قال تعالى: ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ. قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿** [آل عمران: ٣٨].

فمن أدبه في الدعاء قال: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي ﴿** "فجاء الطلب بلفظ

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٣١٥/٢.





الهبة لأن الهبة إحسان محض ليس في مقابلة شيء وهو يناسب ما لا دخل فيه للوالد لكبر سنه ولا للوالدة لكونها عاقرة لا تلد" (١).

وقال تعالى: ﴿ذَكَرْ حَمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ [مريم: ٢ - ٥].

"وإنما كان خفياً لأن زكريا رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أن الله يجيب دعوته لثلاث تكون استجابته مما يتحدث به الناس" (٢)، "إنه يناجي ربه بعيداً عن عيون الناس، بعيداً عن أسماعهم. في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره". كل هذا في خضوع في الدعاء وإظهار الذل والمسكنة والضعف والحاجة لله تعالى".

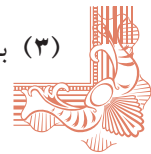
وفي قوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ صورة من صور الأدب مع الله في الدعاء، "فالمعنى إنك عودتني أجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان فهو توسل إليه تعالى بما سلف من إجابته وإحسانه" (٣).

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، إنه الأدب مع الله والاعتراف بنعم الله، وحسن العرض لما هو مهموم به.

(١) روح المعاني للألوسي ٣/ ١٤٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦ / ٦٢.

(٣) بدائع التفسير لابن القيم ٣ / ١٣٤.





٣ - تربيتهما على قدرة الله تعالى على كل شيء؛

تربى زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام أن الله قادر على كل شيء وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فأكرمه الله بما خرق به العادة أن وهب له الولد رغم كبره وعقم زوجته، وتربى يحيى على هذا المعنى لأنه هو نتاج تلك التجربة والتربية..

وجاءت هذه التربية في ثلاثة مواقف:

الأول: عن طريق مريم أم عيسى، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران ٣٧] فقد رأى زكريا بنفسه قدرة الله تعالى في الرزق، وتأكد له ذلك بقول مريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: "من غير حسابان من العبد ولا كسب"^(١).

الثاني: "لما رأى زكريا عليه الصلاة والسلام ما من الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها ولا كسب، طمعت نفسه بالولد"^(٢) قال تعالى: ﴿هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ولما كان حاله حال من لا يرجى له الولد لكبر سنه وأن زوجته عاقرة، - مع كل هذا - استجاب الله دعاءه، فقال زكريا عليه الصلاة

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٨.





والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأُمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران ٤٠]،
وقال في موضع آخر: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتْ
أُمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [٨] [مريم ٨].

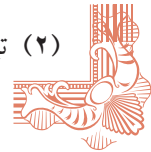
جاءه الجواب في بساطة ويسر، ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم ٩] إنه:
"يرد الأمر إلى نصابه. ويرده إلى حقيقته التي لا عسر في فهمها، ولا
غرابة في كونه: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.. فالأمر
مألوف مكرور معاد حين يرد إلى مشيئة الله وفعله الذي يتم دائماً
على هذا النحو ولكن الناس لا يتفكرون في الطريقة، ولا يتدبرون
الصنعة، ولا يستحضرون الحقيقة!"^(١).

"فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها
التناسل، فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل، لأنه لا
يستعصي عليه شيء"^(٢)، "فالله تعالى لا يحتاج إلى سبب بل الله يُفَعِّلُ
ما يَشَاءُ لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه أمر".

الثالث: لما جاءت البشرية لذكريا بالولد، قال استعجالا لهذا
الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾
[آل عمران ٤١] أي: علامة على وجود الولد ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا
تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران ٤١] أي:

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٣١٥/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٩.





"ينحسب لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجد بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام"^(١).

٤ - تربيته على التواضع:

ومن ثمرة هذه التربية أن أثنى الله على يحيى بقوله: ﴿وَرَأَى بُولَدِيهِ وَكَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم ١٤]، فرباه الله تعالى: "فلم يكن متجبراً متكبراً عن عبادة الله، ولا مترفعاً على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعاً، متذللاً مطيعاً، أواباً لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه"^(٢).

٥ - تربيته على الحنان:

قال تعالى مثنياً على يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ [مريم ١٣] "قولان: أحدهما: قال: تعطف الله عز وجل عليه بالرحمة والقول الآخر ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك"^(٣).

"آتاه الحنان هبة لدنية لا يتكلفه ولا يتعلمه؛ إنما هو مطبوع عليه ومطبوع به. والحنان صفة ضرورية للنبي المكلف برعاية القلوب والنفوس، وتأليفها واجتذابها إلى الخير في رفق".

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ١٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٧/١١.





٦ - رزقه الطهارة والعفة:

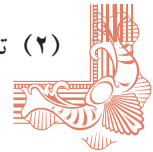
قال تعالى مثنيا على يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ [مريم ١٣] فقولته: ﴿وَزَكَاةً﴾ أي: "طهر قلبه وتزكى عقله، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة"^(١)، "فآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع؛ يواجه بها أدران القلوب وندس النفوس، فيطهرها ويزكيه".

٧ - رزقه السلامة والإسلام:

إن السلام والإسلام من حفظ الله تعالى للعبد ولذلك «حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، قال تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم ١٥] "وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها، وأنه سالم من النار والأهوال، وأنه من أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا من أتباعهم، إنه جواد كريم"^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٩١.





المطلب الثاني

الرعاية الأسرية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

يمكن إجمال رعاية الله تعالى الأسرية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام في النقاط التالية

١ - إصلاح زوجه والدة يحيى:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، وَيْحَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا، وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

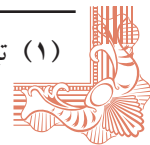
"فبعدهما كانت عاقر لا يصلح رحمها للولادة، أصلح الله رحمها للحمل لأجل نبيه ذكريا"^(١)، وأصلحها كذلك بأن جعلها امرأة عابدة لله.

٢ - إشباع رغبة الأبوة:

لقد استجاب الله لذكريا عليه الصلاة والسلام دعاءه، وورقه بالولد الصالح الذي يرث دعوته وعلمه. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، وَيْحَى﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٣ - توفيق الله لذكريا بحسن الدعاء بالذرية الصالحة:

قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦] أي: "لا جبارا ولا غليظا، ولا متبطرا ولا طموعا. ولفظة «رضي» تلقي هذه الظلال. فالرضي الذي يرضى ويرضى. وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله".





"أي: عبدا صالحا ترضاه وتحبه إلى عبادك، مرضيا عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله وعنده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم"^(١).

٤ - جعل الله يحيى باراً بوالديه:

رزق الله تعالى زكريا بيحيى غلاماً باراً بوالديه، قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]. "كان برا بوالديه، مسارعا في طاعتها ومحبتها، غير عاق بهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ أي: لم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا ياتمر لما أمر به، ويتتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه"^(٢).

المطلب الثالث

الرعاية الدعوية

لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

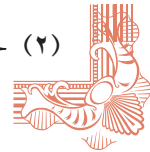
يمكن إجمال رعاية الله تعالى الدعوية لزكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام في النقاط التالية:

١ - حرصه على ذرية تخلفه في دعوته:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٥ - ٦].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٩.

(٢) جامع البيان للطبري ١٨ / ١٦٠.





فقد علم الله تعالى زكريا علما ورثه من أجداده الأنبياء، وأراد أن يرزقه الله بالولد كي يرث هذا العلم وينشره للناس، فقد "سأله نسلًا يورثه علمه، لا من يورثه ماله، فأعرض الدنيا أهون عند الأنبياء من أن يشفقوا عليها!"^(١).

وهنا استجاب الله دعاءه ورزقه بيحيى عليه الصلاة والسلام، وكان من أول التوجيهات التي تلقاها يحيى من الله تعالى كان توجيهها للعلم والتعلم والجد فيه، ليرضي ربه ووالده وتستمر دعوته، فقال تعالى: ﴿يَبْحَثُ خِذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم ١٢] فقد أمر الله تعالى يحيى من صغره أن يحرص ويجتهد في طلب العلم وأن يأخذه بقوة. قال ابن سعدي: "أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه"^(٢).

فقد "نودي ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الوراثة".
فقد كانت نفس زكريا عليه الصلاة والسلام تشتاق، لأنه "خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فرداً ولا يخلف من يشفعه ويعينه"^(٣).

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ١٧٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٥٣٠.





فذكر يا عليه الصلاة والسلام، يطلب الولي الصالح، الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده، لأنه يخشى من بعده. يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه. وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها، وأهله الذين يرعاهم. وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه. وهو يخشى الموالى من وراثه على هذا التراث كله، ويخشى ألا يسيروا فيه سيرته،^(١) وهذا الحرص من زكريا عليه الصلاة والسلام يشير للهم الدعوي الذي غرسه الله تعالى في قلبه.

٢ - حرص زكريا على إبلاغ دعوته بكل وسيلة:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم ١١].

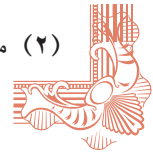
فقد "حُسن زكريا عن الكلام، فدعا بالإشارة. فالداعية لا يتوقف.. إن أغلق في وجهه باب، فتح باباً آخر!" وعلى هذا ربه جل وعلا"^(٢).

٣ - إصلاح يحيى واصطفائه نبياً:

أصلح الله له ولده وجعله نبياً يرث الدعوة ويساعد أباه في نشرها، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران ٣٩].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٥٣٠.

(٢) من تدبرات الشيخ محمد الغريير - مجموعة ليدبروا آياته.





٤ - أعطى الله تعالى يحيى الحكمة وهو صبي:

قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم ١٢] "قال المفسرون: أعطى يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه"^(١)، أي: "أي فهم التوراة والعلم والاجتهاد في الخير"^(٢).
قال معمر بن راشد: "بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقت! اللعب ليس محرماً على الإطلاق؛ لكن من نعم الله على العبد أن يدرك علة خلقه مبكراً"^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦ / ٥٥.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٧ / ٨٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨ / ١٥٥، وابن أبي حاتم في التفسير ٧ / ٢٤٠٠، والسيوطي في الدر المنثور ٢٢ / ١٠.





الفصل الثالث رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم وتعليمه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث الثاني: قصة موسى والخضر.

المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب.

المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف.





المبحث الأول

قصة مؤمن آل فرعون

في هذا المبحث سنتطرق إلى أثر رعاية الله تعالى لأتباع الأنبياء عليهم السلام، وقصة مؤمن آل فرعون تمثل أنموذجا للرعاية الإلهية لطلاب العلم، ونشهد هذا من آثار تلك الرعاية؛ فما وصل مؤمن آل فرعون لهذا الوعي إلا نتاج تربية واعية، الله وحده أعلم كيف تمت في تلك الظروف التي كان تمر بها دعوة موسى عليه الصلاة والسلام.

وسنبرز هذا الأمر من خلال مطلبين:

المطلب الأول

عرض قصة مؤمن آل فرعون من القرآن

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَفْقَهُ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَفْقَهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَفْقَهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ



وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ
 لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ
 مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
 أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ
 اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَذَانِ
 لَنْ نُبْرَأَ إِلَهُكُمَا لِأَنَّا نَحْنُ آلَ اللَّهِ وَهُوَ حَرَمٌ مُبْتَلَعٌ
 إِلَّا لِهَيْبَتِ اللَّهِ وَسِعِ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ
 إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُينَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ
 عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ
 ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
 الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ
 هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ
 عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَقَوْمِ مَا
 لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي
 لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ
 الْعَزِيزِ الْغَفْرِ ﴿٤٢﴾ لَاجِرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا
 وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
 النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّه اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا

وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر: ٢٨ - ٤٥].



المطلب الثاني

عرض قصة مؤمن آل فرعون باختصار

اختلف العلماء في اسم مؤمن آل فرعون، والمعروف عنه أنه كان من آل فرعون، حتى قيل إنه ابن عم فرعون وكان مؤمناً بالله تعالى وبرسالة موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه كان يكتُم إيمانه، ولم يكن إسرائيلياً، فإن فرعون قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل فرعون بالعقوبة على قوله، ولكنه لما كان من ملاً قومه، استمع قوله، وكف عما كان همَّ به في موسى (١).

وقد أعلَى اللهُ ذكر هذا الرجل المؤمن حيث سجل موقفه في كتاب يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر ٢٨].

أي: "قال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبِحاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضاً قولاً مجرداً عن البيّنات، ولهذا





قال: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لأن بيته اشتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله.

فهلا أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطايا.

ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذباً فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً وقد جاءكم بالبينات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تينك الحاليتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم.

ثم انتقل ﷺ وأرضاه وغفر له ورحمه - إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾





كذَّابٌ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل.

كذَّابٌ بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً ولا كاذباً، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه^(١).

المطلب الثالث

فوائد منهجية في رعاية طلاب العلم من خلال القصة

يظهر لنا من قصة مؤمن آل فرعون رعاية موسى عليه الصلاة والسلام لطلبة العلم الذين عنده من الناحية الأمنية ومن الناحية التربوية والعلمية دروسٌ كثيرة ومنها:

١ - قد كان هذا الرجل يتعلم، ويدل على ذلك ما جاء في نصيحته لهم ومعرفته بالبينات وبالرسل من قبل، وعاقبة كل أمة.. وترغيبهم وترهيبهم. كما في قوله تعالى: **يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩** وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ٣٠ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١ وَيَنْقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ٣٢ يَوْمَ تُولُونَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧٣٧.





فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ
فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ [غافر: ٢٩ - ٣٤].

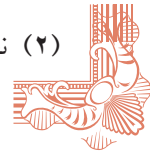
٢- وظهر أنه عندما كان يتعلم من موسى عليه الصلاة
والسلام وكان لا يعلم عنه أحد مع أنه كان من المقربين
لفرعون ومن عشيرة فرعون^(١)، ولذلك قال الله عنه:
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾
فقد تعلم أن "للإنسان، إذا عم الطغيان، أن يسكن بين
أهل العدوان، إذا نصح بحسب الإمكان"^(٢).

٣- وتظهر الرعاية التربوية لهذا الطالب المؤمن الذي يكتم
إيمانه أنه عندما جاء وقت الدفاع عن الدعوة وعن
معلمه وإخوانه المؤمنين بموسى عليه الصلاة والسلام
قال كلمات يدافع بها عنهم، فهو قد تربى أنه لا مجال
للسكوت في وقت يكون فيه السكوت خطراً على الداعية
والدعوة، قد تربى على أن لكل شيء أوانه ووقته، فلم
يكن مستعجلاً ولا متخاذلاً.

٤- وفي قوله: ﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ
صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ "ضرب من إيهام
الشك في صدق موسى ليكون كلامه مشتملاً على احتمالي

(١) يمكن أن يكون قد التقى بموسى ليتعلم منه أو تعلم منه بطريق غير مباشر..
وهذا أمر مستنبط بالمفهوم.. وهو واقعي جدا.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٦/٥٠٧.





- تصديق وتكذيب يتداولهما في كلامه فلا يؤخذ عليه أنه مصدق لموسى بل يُحِيلُ إليهم أنه في حالة نظر وتأمل ليسوق فرعون وملائه إلى أدلة صدق موسى بوجه لا يثير نفورهم^(١). وهذا نوع من الوعي لا يدركه إلا من خضع لعناية وتربية خاصة.
- ٥ - وفي كون هذا الرجل المؤمن من شيعة وقوم فرعون في النسب والقومية ما يدل على أنه تربي على عبادة الله وإخلاص الطاعة له وقبول الحق والصواب ممن كان، ولو من القومية المعادية لقوميته والأنزل في الرتبة في مقاييس ذلك اليوم.
- ٦ - لقد غرس في قلب هذا الرجل الحرص على هداية الناس حيث قال لقومه: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ فهو "يشعرهم أن أمرهم يهيمه، فهو واحد منهم، ينتظر مصيره معهم وهو إذن ناصح لهم مشفق عليهم، لعل هذا أن يجعلهم ينظرون إلى تحذيره باهتمام، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص".
- ٧ - لقد تعلم وتأصل لديه جيداً أن الحق هو ما بان عليه الدليل ووافق العقل السليم، لا مجرد الدعاوى والزخارف القولية وقوة الجبروت والظلم والطغيان، كما وضحتها في احتجاجه واستدلاله، كما في قوله: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ﴾





المبحث الثاني

قصة موسى والخضر

قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر الرجل الصالح العلم، ورحلته إليه في طلب العلم تمثل عددًا من الجوانب في رعاية طلاب العلم من نواحي كثيرة، ومنها: رعاية طالب العلم لنفسه، ورعاية المعلم لطالب العلم، وأدب طالب العلم مع العلم ومع المعلم الذي يعلمه.

وهي معالم يسترشد بها المربون والمعلمون وحتى طلاب العلم في مسيرة التربية والتعليم، وإعداد وتخريج القادة والمؤثرين. وسنبرز هذه الجوانب من خلال ثلاث مطالب:

المطلب الأول

عرض قصة موسى والخضر من القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا نَادَاءْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيئَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ



مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ
 رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ
 تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا
 ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
 فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ
 جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا
 تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا
 غُلَامًا فَقَالَهُ قَالَ أَقُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾
 ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَأَ
 أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
 يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
 وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ
 لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
 سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا
 طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا
 ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
 وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
 رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا



المطلب الثاني معنى الآيات إجمالاً

"يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام وشدة رغبته في الخير وطلب العلم أنه قال لخادمه الذي يلازمه في حضره وسفره: لا أزال مسافراً وإن طالت عليّ الشقة ولحقتني المشقة حتى أصل إلى المكان الذي أوحى الله إليّ أني سأجد عنده عبداً من عباد الله العالمين عنده من العلم ما ليس عندي.

وكان معها حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وعد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت طريقه في البحر سرباً وهذا من الآيات، قال المفسرون إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حياً، فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه لقد تعبنا من هذا السفر.

وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر فرجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عباد الله، وهو الخضر، وكان عبداً صالحاً، لا نبيا على الصحيح، أعطاه الله رحمة خاصة به، زاد علمه وحسن عمله، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، به أسترشد وأهتدي،



فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك.

فقال موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فحينئذ قال له الخضر: لا تبتدئي بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعدته أن يوقفه على حقيقة الأمر.

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، سيبينه، فلم يصبر موسى عليه الصلاة والسلام، لأن ظاهره أنه منكر، قال موسى ﴿ أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ عظيماً شنيعاً، فقال له الخضر ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى عليه الصلاة والسلام نسياناً فقال: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعدر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ الخضر، فاشتد بموسى

الغضب، وأخذته الحمية، حين قتل غلاماً صغيراً لم يذنب. ﴿ قَالَ ﴾

أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿١﴾ وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب. فقال له الخضر معاتباً ومذكراً: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٢﴾ فقال موسى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِجْنِي﴾ ﴿٣﴾ فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا أَي: أعذرت مني، ولم تقصر، فكان هذا من موسى عليه الصلاة والسلام شرطاً.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ ﴿٤﴾ قد عاب واستههم فَأَقَامَهُ، ﴿٥﴾ الخضر أي: بناه وأعادته جديداً. فقال له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٦﴾ أي: أهل هذه القرية، لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من دون أجر؟ فكان الأولى بك أن لا تبنيه لهم إلا بمقابل حاجتك وعدم إحسانهم إليك.

فحينئذ لم يف موسى عليه الصلاة والسلام بما شرط على نفسه، واستعذر الخضر منه، فقال له: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ ﴿٧﴾ فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيِلَ مَا لَمْ تُسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨﴾ أي: سأخبرك بما أنكرت عليّ، وأنبتك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر.

١ - ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ﴿٩﴾ ويقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم. ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾ ﴿١٠﴾ فكان مرورهم على ذلك الملك الظالم، وكل سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غضبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.



٢ - ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكْوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ (٨١) وكان ذلك الغلام قد قُدر عليه أنه لو بَلَغَ لحمَل أبويه على الطغيان والكفر، فقتلته لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما في الظاهر، فإن الله تعالى سيعطيها من الذرية، ما هو خير منه، وكل ذلك علم غيبي أطلع الله عليه الخضر لم يعلمه موسى عليه الصلاة والسلام.

٣ - ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحالمها تقتضي الرأفة بهما ورحمتها، لكونها صغيرين عُدما أباهما، وحفظها الله بصلاح والدهما، وهذا ما دعاني إلى الإشفاق عليهما والرعاية لهما بالسعي في حفظه عن الضياع. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ فلهذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجاناً.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ كل هذا الذي فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَلِكِ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: ما أتيت شيئاً من قبل نفسي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره»^(١).





فأسند الأمر والقدر لله وحده، ونفى أن يكون هو الذي قدره ولكنه رضي بالله رباً، فنفذ ما أمره الله به عن علم ويقين لا عن ظن وتخوُّص وتوقعات عقلية، ولما كانت هذه الأمور غيبية لم يطلع موسى عليها وظاهرها الفساد والخراب أنكرها موسى عليه الصلاة والسلام، ولم يصبر عليها، فرحمة الله على موسى عليه الصلاة والسلام إذ كان ممتثالاً لأمر ربه، ورحمة الله على الخضر عليه السلام إذ كان ممتثالاً لأمر ربه.

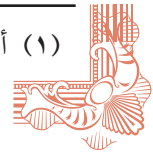
المطلب الثالث الفوائد المستنبطة من القصة

١ - دعاء موسى الله تعالى التيسير في الوصول للعلم وأخذه والرحلة من أجله:

فموسى عليه الصلاة والسلام دعا الله لكي ييسر له السبيل إلى العلم ويهديه الطريق إليه، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه يقول: ((بينما موسى في ملاء من بنى إسرائيل، إذ جاءه رجل فقال أتعلم أحدا أعلم منك قال موسى لا. فأوحى الله عز وجل إلى موسى بلى، عبدنا خضر، فسأل السبيل إلى لقيه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، فكان موسى - صلى الله عليه وسلم - يتبع أثر الحوت في البحر. فقال فتى موسى لموسى أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. قال موسى ذلك ما كنا نبغي. فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه))^(١).



(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم (٧٨)،





٢ - فضيلة العلم، والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور:

"فإن موسى عليه الصلاة والسلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك، قال ابن حجر رحمه الله عند ذكر هذا الحديث: "وفي الحديث جواز ركوب البحر في طلب العلم بل في طلب الاستكثار منه"^(١).

لقد علّم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام علماً وعلم الخضر علماً، فرحل موسى إلى الخضر ليتعلم منه عندما علم موسى عليه الصلاة والسلام أن عند الخضر علماً لا يعلمه، فموسى لم يتكبر أن يتعلم من الخضر الذي هو أقل منه منزلة، والخضر لم يرفض طلب موسى بل بيّن له مخاطر الطلب والمنهجية التي لا بد أن يسير عليها في طلبه لذلك العلم منه.

٣ - "أخذ الخادم في الحضرة والسفر لكفاية المؤمن، وطلب الراحة:

كما فعل موسى عليه الصلاة والسلام"^(٢) فطالب العلم يحتاج إلى من يخدمه ويكفل له المؤنّة لكي يتفرغ للطلب، وليستفيد من قوّته ووقته في الطلب.

٤ - تحمل المشاق في الرحلة لطلب العلم:

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الباب: "هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغتبط به تتحمل المشقة فيه"^(٣).

ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل الخضر (٢٨٣٠).

(١) فتح الباري لابن حجر ١ / ٢٠٤ باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١ / ٢٠٢.





٥ - كل ما أمر الله به لا مشقة فيه ولا نصب:

فإذا تجاوز الإنسان حدود ما أمر الله تعالى كانت المشقة والنصب، ولو كان المأمور به مكاناً جغرافياً، فموسى وفتاه لما شعرا بالنصب إلا بعد أن جاوزا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي نَادَاكَ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ وعلى هذا لا بد أن يُربى طلاب العلم.

٦ - أن يضع الطالب لنفسه هدفاً من رحلته ويجد في طلبه:

الذي يظهر - والله أعلم - أن هدف موسى من رحلته هذه هو ما أوضح عنه بعد لقياه الخضر بقوله: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ فطلب العلم الذي هو من تعليم الله له وأن يكون مما ينفعه ويرشده للصراط المستقيم.

فإنه كان لموسى عليه الصلاة والسلام هدف من رحلته هذه التي اعتمزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمراً، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول. وهو يعبر عن هذا التصميم بما ذكره القرآن من قوله: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾ والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاماً. وعلى أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد.

٧ - الأدب في الحديث مع العلماء:

فإن موسى عليه الصلاة والسلام قال: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ

أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ "فأخرج الكلام بصورة الملاطفة





والمشاورة، وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أحدهم أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم^(١).

٨ - إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى والإقرار بذلك، وشكر الله:

وذلك في قوله: ﴿تَعَلَّمْنَ مِمَّا عَلَّمَتْ رُسُلًا﴾ [الكهف: ٦٦]، أي مما علّمك الله تعالى.

٩ - تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه:

فإن موسى عليه الصلاة والسلام - بلا شك - أفضل من الخضر عليه السلام، قال ابن حجر: "ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر لأجله..". إلى أن قال: "وفي الحديث لزوم التواضع في كل حال، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر، وطلب التعلم منه تعليمًا لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتتيهًا لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع"^(٢).

١٠ - حرص طالب العلم والمعلم على الاهتمام بالعلم النافع تعليمًا وتعلمًا:

وهو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإمّا أن يكون ضارًا، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَنْ تَعَلَّمْنَ مِمَّا عَلَّمَتْ رُسُلًا﴾^(٣) وهو مضيعة للوقت والجهد.

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

(٢) فتح الباري ١/ ٢٠٢ - ٢٠٤.

(٣) تيسير اللطيف المنان ٢٥٧.





١١ - توضيح العلماء لطلابهم صعوبة الصبر على العلم وصعوبة

تلقي العلم:

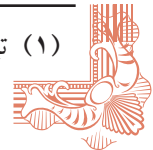
﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (١٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿ فعلم الخضر ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، ومن ثم فلا طاقة لموسى بالصبر على الخضر وتصرفاته، لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة؛ وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم على موسى ألا يصبر على صحبته.

١٢ - العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة بالله:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ "أن من ليس له قوة الصبر على صحة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم. فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر - يعتذر عن موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه - إنه لا يصبر معه" (١).

١٣ - جواز وضع العالم شروطاً لمن يأتي لطلب العلم:

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾، فاشتراط الخضر على موسى شرطاً، واضحاً بيناً ليحصل له علم مما علمه الله الخضر.





والتربية الحديثة تطلق على هذا الأمر التعليم التعاقدى، أو عقد التعلم، وذلك لأجل أن يكون التعليم عملية نشطة وليست خاملة، بمشاركة المتعلم في عملية التعلم فيصبح مسؤولاً مستقلاً عن تعلمه.

١٤ - تعليم العلماء لطلابهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء:

﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ وذلك لمعرفة الخضر أن ذلك لا يناسب موسى عليه الصلاة والسلام فإنه إن انشغل بالسؤال ذهب عنه العلم بها.

١٥ - مراعاة المعلم مستوى المتعلم ووقت التعليم:

"وفي ذلك أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيعازه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن السؤال عن دقيق الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالاً لا يتعلق بموضع البحث"^(١).

١٦ - اهتمام المعلم بطلاب العلم:

وذلك بملازمته طلابه، وأخذهم معه لكي يتعلموا منه كل شيء كما قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾ ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَٰ غُلَامًا ﴾ ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾

١٧ - الأمر بالتأني والتثبت:

وذلك بعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه وما هو مقصود، وذلك بإنكاره عليه أنه أنكر ولم ينتظر معرفة سبب فعل الخضر له، وقد بين له مسبقاً أن ذلك السؤال غير متأت له، وضمن له معرفة الجواب بعد.

(١) مجلة البيان عدد ٦٢، مقال بعنوان: موسى بين يدي الخضرِ دروس في أدب

الطلب للشيخ: خالد بن صالح السيف.





١٨ - صبر العالم وتلطفه بالطالب:

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ "فينبغي للعالم أن يأخذ من أخلاق طلابه ومعاملاتهم العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسامة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر"^(١).

١٩ - اعتذار الطالب وطلب المسامحة عند الخطأ:

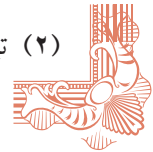
وقد حصل ذلك من موسى عليه الصلاة والسلام بطيب نفس مع الاعتراف بالخطأ ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ فهول الأمر وتفاجؤ موسى عليه الصلاة والسلام أنساه الشرط وأعسر عليه الصبر والسكوت عما رآه في الظاهر خطأً.

٢٠ - عدم التعسير على الطلاب ومحاسبتهم عند أول خطأ:

بل ومحاولة إعطائهم عدة فرص والتماس العذر لهم، قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي: "لا تعسر علي الأمر واسمح لي، فإن ذلك وقع مني على وجه النسيان فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر"^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.





٢١ - تبیین المشكل من المعلم للطلاب:

وذلك لكي لا يظلوا في حيرة ﴿سَأَنبِتُكَ بِنَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾. فوعده الخضر موسى عليه الصلاة والسلام أن يخبره بحال وحقيقة الأمر في المواضع الثلاثة التي أنكرها موسى عليه الصلاة والسلام لمخالفتها الظاهرة، وبينها له بعد انتهاء العقد بينهما وانفصال الأمر.

٢٢ - أن يكون المعلم قدوة للطلاب في عمل الخير:

فالأعمال التي عملها الخضر هي عبارة عن أعمال خير وبر ومساعدة للناس. ورؤي أنه "لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى: أوصني. قال: كن نفاعاً، ولا تكن ضراراً، كن بشاشاً، ولا تكن غضاباً، ارجع عن اللجاجة، ولا تمس في غير حاجة، ولا تعير امرأ بخطيئته، وابك على خطيئتك يا ابن عمران"^(١).

٢٣ - إعطاء تغذية راجعة للمتعلم:

فالخضر لم يترك موسى عليه الصلاة والسلام في حيرته، بل أوضح له كل ما مر به من خبرات بصورة تجعل موسى يتأمل فيها ويستخرج العبرة، خاصة وأن الخبرات الثلاث التي مر بها تشابه خبرات ثلاث أخر مبرر بها بالفعل في حياته قبل مقابلة الخضر، فهو استنكر قتل الغلام مع أنه قتل رجلا عندما وكزه، واستغرب من كسر السفينة وهو قد كسر الألواح، واستغرب من بناء الجدار بدون أجر مع أنه قد سقى للبتين من غير أجر.

٢٤ - تعليم الطالب التأدب في الخطاب:

لقد برز في القصة تعليم الطالب التأدب في الخطاب مع الله سبحانه وتعالى، ومن ثم مع كل من له مكانة وقدر: حيث إن الخضر لم ينسب لله سبحانه وتعالى الشر مع أن الخير والشر من عند

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/١٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٢٩١، وابن أبي الدنيا في التوبة ص ١٠٥ (٥٦)، وانظر الدر المنثور ٩/٦٢٣.





الله تعالى وذلك يتضح في النقاط التالية:

أ - ففي حرق السفينة قال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولم يقل فأراد ربي منى أن أعيبها.

ب - وفي قتل الغلام قال: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ فعندما أراد القتل قال: ﴿فَخَشِينَا..... فَأَرَدْنَا﴾ وعندما أراد التبديل بما هو خير قال: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ ولم يقل أبدلها أنا خيراً من ذلك الغلام.

ج - وفي إصلاح حال الغلامين واستخراج كنزهما، قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ فنسب الخير كله لله تعالى. وهذا التوجيه وهذه الرعاية بطريقة غير مباشرة عن طريق القدوة، التي نحن في أشد الحاجة إليها في هذا الوقت لما نفتقده من قلة وجود القدوات والإمامة في الخير.

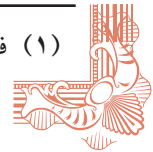
٢٥ - أن من لا صبر له لا يدرك مطلبه:

فمن ليس عنده قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك ليس أهلاً لتلقي العلم؛ فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى إليه؛ لقول الخضر: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

٢٦ - وجوب التأنى عند الإنكار في المحتملات:

"فإن الذي فعله الخضر ليس في شيء مما يناقض الشرع، وإن نقض لوح من ألواح السفينة لدفع الظالم عن غضبها ثم إذا تركها أعيد اللوح جائز شرعاً وعقلاً ولكن مبادرة موسى بالإنكار بحسب الظاهر" (١).

(١) فتح الباري ١/ ٢٦٨.





المبحث الثالث قصة الغلام والساحر والراهب

هذه القصة أمودجاً من ثمرات العناية بطلاب العلم وخصوصا النجباء منهم، فنحن هنا مع طالب علم نجيب وصاحب همة عالية - يسر الله تعالى له من يقوم بالعناية به بجانب العناية الربانية -، فتنبه إليه معلم صاحب فراسة في طلاب العلم النجباء، قام المعلم بالرعاية والعناية به بمعية الله تعالى حتى وصل طالب العلم إلى درجة عالية في الدعوة والبيان فاق فيها معلمه.. وهنا سنقف على معالم تلك الرعاية وهذه التجربة الفريدة التي حفظ القرآن والسنة لنا بعض معالمها التي ستكون نبراسا في مجالات مختلفة من حياتنا وديننا ودعوتنا. وسنبرز هذه المعالم في مطلبين:

المطلب الأول ما ورد من القصة في القرآن والسنة

قال تعالى: ﴿قِيلَ أَحْسَبُ الْأَخْذُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج - ٤ - ١٠].

عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر. فبعث إليه غلاما يعلمه،





فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام. فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل.. وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقليل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقليل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع





شقاها. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك!! فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتكم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك: فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور^(١) فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقتلوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا^(٢).

وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرت به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله

(١) قرقور: بضم القافين وهي السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة. المنهاج ١٨/١٣١، الديباج ٦/٣٠٦.

(٢) أشكل على بعض الباحثين أن نجران لا بحر فيها. والجواب فيما قاله السهيلي في الروض الأنف ص ٩٦: "فأرسله إلى مياه نجران، وهي بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك"، وهكذا قال ابن الأثير في الكامل في التاريخ ١٩/٢٩٢. ولا يستبعد أن يكون البحر هو الأحمر، لما ورد في كتب التاريخ عن علاقتهم بالحبشة وملوكها.





رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: أمنا برب الغلام أمنا برب الغلام أمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه^(١) فيها - أو قيل له: اقتحم - ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق^(٢).

المطلب الثاني الفوائد العملية من القصة

وفي دراسة الحديث الشريف يتضح الجهد الذي قام به طالب علم ومعلمه، نستنبط منها الفوائد العملية في رعاية طلاب العلم في النقاط التالية:

أولاً: قواعد للعلماء والمسؤولين عن رعاية طالب العلم:

١ - اهتمام العلماء بتوريث العلم:

يجب أن يكون هناك اهتمام من العلماء بتوريث العلم لطلاب العلم، فالناظر إلى بداية القصة يجد أن الساحر مع كفره وخطورة علمه على الناس وعلى الدين، كان حريصاً على أن يورث هذا العلم لكي لا ينقطع، فأخبر الملك بما يريد فأجابه.

(١) فأحموه: همزة قطع وحاء ساكنة أي: ارموه. وفي رواية بالقاف (فأحموه)

أي: اطرحوه كرها. المنهاج في شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١٣٢،
الديباج على مسلم للسيوطي ٦/٣٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر
والراهب والغلام (٣٠٠٥).





فكيف لو كان هذا العلم علماً شرعياً لكان أولى بأصحابه أن يورثوه ويهتموا بمن سيورثونهم هذا العلم، وقد جعل الله العلم من الأعمال التي لا تنقطع بموت صاحبها، قال عليه الصلاة والسلام ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))^(١).

٢ - ابتعاث من يقوم بالعلم مع رعايته:

قبول الملك لطلب الساحر في ابتعاث غلام ليتعلم السحر من الساحر يبين ما يجب على المسؤولين في البلاد من التعاون بين العالم والمتعلم فلكل من العالم والمسؤول دور في نشر العلم، فدور المعلم التعليم والعناية بالمتعلم، ودور المسؤول هو العناية بالطالب وتقديم ما يحتاج إليه، وتهيئة الأسباب لذلك.

٣ - الاهتمام بالنجباء من الطلبة:

فإن اختيار العالم صغار السن والنجباء من الطلبة، أمرٌ لا بد من العناية به، ليحسن تنشئتهم وتربيتهم على العلم المقدم لهم.

٤ - تفرغ الطلاب للعلم:

تفرغ الطلاب للعلم فقط، وكفايتهم ما يشغلهم عن طلبه، وتنميته والاهتمام به، فإن تفرغهم له حريٌّ بإتقانهم وفهمهم له، فالساحر قال للملك ((أرسل لي غلاماً أعلمه السحر)).

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١).





ثانياً: قواعد رعاية طالب العلم عند المعلم الصالح:

١ - أن يكون المعلم ذا تأثير في قلب المتعلم:

من العناية بطالب العلم أن يكون المعلم ذا كلام مؤثر في قلب المتعلم ولذا قال رسول الله ﷺ ((فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه))، ولو أن هذا الراهب لم يكن كلامه مؤثراً في قلب الطالب هل سيحصل بذلك تعلم وإعجاب وحضور دائم للدرس؟

ومع ذلك فإن الغلام كان يُضرب من قبل أهله، ومن قبل الساحر عندما يتأخر عند الراهب، فكان يصبر ويتحمل المكاره في سبيل تعلم ما ينفعه.

٢ - تميز المعلم بالشفقة والرحمة لطلابه:

ليس من طبيعة أهل العلم أن يعملوا على أذية طلابهم، بل يجب أن يكون فيهم الشفقة والرحمة بطلابهم، فالراحمون يرحمهم الرحمن، وتأمل قول الراهب وهو يخاطب الغلام: ((أي بني)) بكل ما تعنيه الكلمة من عطف وحنان الأب على ولده.

بخلاف ذلك الساحر الذي يعلم الغلام السحر مع كفره وكفر ما يعلمه للغلام، إذ يوجد به قسوة وعدم رحمة، بل ورثة نُفرة من العلم وصاحبه، وكُرْهاً لذلك العلم الذي لا يحث صاحبه والعامل به على الرحمة بالناس وبالطلبة خصوصاً.

ولا غرابة في ذلك لأن العلم الذي لا يحث صاحبه على العمل بالحق والرحمة بالخلق - لا سيما طلابه - جديرٌ بأن يُكره ويُنبذ.

٣ - دور المعلم في خلق ثقة طلابه به:

إن دور المعلم ليس نفث المعلومات فقط، وإنما زرع الثقة في

طلابه، فإذا يفعل هذا الطالب في المشكلة التي تحصل له كل يوم؟ إنه





ذهب إلى من يثق به ويعلم أن عنده الحل لمشكلته، إنه معلمه الراهب، فإن الطالب إذا أحس باهتمام من شيخه عرض عليه ما يعتريه من مشكلات خاصة به، أو مشكلات تتعلق بطلبه للعلم، أو العمل به.

٤ - العناية بإزالة العقبات التي تمنع طالب العلم:

ويأتي دور الشيخ في العناية بإزالة العقبات التي تمنع طالب العلم من السير في الطريق الحق، يقترح على طالبه حلاً لمشكلته قبل أن تتطور المشكلة ويذهب طالب العلم عنه.

فقال الراهب للغلام الطالب: ((إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر))، وهكذا يخرج الراهب الغلام من مشكلته بفقهِ بالحق وبواقع طلابه.

٥ - أن يعرض فعله على شيخه ليصوبه:

ثم يأتي موقف آخر يلجأ الغلام لمعلمه ليعرف منه حقيقة الأمر، فهو اقتنع بثقته بمعلمه والحق الذي معه وهو موقف الدابة، التي سدت على الناس الطريق، وأبعدها هو بقوله: ((اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة)) ورامها بحجر فقتلها ومضى الناس، فيعرض فعله على شيخه ليصوبه إن كان خاطئاً؛ فيكون الجواب: ((أي بني أنت اليوم أفضل مني)).

٦ - أن يبين له الواقع وحقيقة الطريق:

ويأتي الدور الآخر من عناية المعلم بتلميذه وهو أن يبين له الواقع ويبين له حقيقة الطريق الذي سلكه، لقد سلك الغلام طريق العلم الحق الذي يأمره بأن يدعو إليه لا يعلمه فقط، فينتقل المعلم بطالبه من ميدان التعلم إلى ميدان العمل والدعوة بما تعلم، وأن هذا الطريق شاق وكله ابتلاءات، فيحتاج إلى صبر وعزيمة.

أتى الغلام الراهب فأخبره فقال له الراهب: ((أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي)).





٧ - أن يبين له تفوقه ويشجعه:

من رعاية المعلم لتلميذه أن يبين له تفوقه حتى ولو كان تفوقه ذلك يفوق معلمه لأن المعلم الحق هو الذي يجب لطالبه ما يجب لنفسه أو أكثر لأنه لا يتعلم أمراً من أمور الدنيا يتنافس فيه أهل الدنيا وإنما هو يتعلم علم الدنيا والآخرة الذي سيستمر أجره إلى يوم القيامة ((أي بني؛ أنت اليوم أفضل مني)).

٨ - أن يكون قدوة لطالبه بالعمل:

على المعلم أن يكون قدوة لطالبه بالعمل بما يعلمه لطالبه فهذا الراهب يقتل من أجل هذا الدين فقد جاء في القصة ((فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدُعي بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه))، ولاحظ أن تلميذه ينظر إليه.

ونتيجة لتلك التربية القولية والعملية، وقف الغلام أمام الملك وصدع بكلمة الحق ولم يثنه عن دينه ودعوة الناس رغم تلك التهديدات، بل صبر عليها الغلام فكانت علامة واضحة على صدقه. فمن أجل نشر دين الله تعالى وهداية الناس قدم الغلام نفسه لله تعالى، اقتداءً بشيخه ومعلمه الراهب، فأمن كل الناس، فهذه هي نتيجة الاعتناء والتربية والصبر على تعليم وتربية طلاب العلم.





المبحث الرابع قصة أصحاب الكهف

إنها قصة تبرز فيها رعاية طلاب العلم بعضهم لبعض، وهذا جانب مهم في حياة طلاب العلم، وسنبرز هذا الأمر من خلال مطلبين:

المطلب الأول

عرض إجمالي لقصة أصحاب الكهف

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف ٩ - ١٠].

"قصة هؤلاء الشباب، أنهم دخلوا إلى كهف يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودياننا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكاهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقبض لهم ما لم يكن في حسابهم" (١).

قال تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف ١٣].





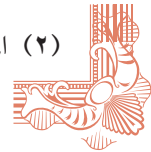
أي: "آمَنُوا بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح"^(١).
فهؤلاء ذهبوا يطلبون الحق والخير في أمور دينهم ودنياهم، وتعاونوا على ذلك، ورعى كل واحد منهم أخاه في هذه الرحلة التي جعلوها لله.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف ١٩].

"ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدرهم، التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمره أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذّه، وأن يتلطف في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يحتفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يشعرن بهم أحدا. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنواهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبدا، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم"^(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ٤٧٣.





المطلب الثاني فوائد في رعاية طلاب العلم من قصة أصحاب الكهف

ومن هنا يمكن استخراج بعض الفوائد من الآيات في رعاية طلاب العلم:

(١) لفت النظر إلى الاهتمام بالشباب فهم عماد الدعوة ومستقبلها قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ "فالشبان أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ"^(١).

(٢) طالب العلم لا يخلو من طلب اللجوء لله تعالى في كل أحواله، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْكَهْفِ فَفَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(١٠) مع أنهم هاجروا وهربوا بدينهم من الكفر وأهله.

(٣) أن العلم والإيمان طريق طويل لكن الله تعالى يبيئه وييسره لمن سلك سبيله، قال تعالى: ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

(٤) أهمية الهجرة والرحلة في سبيل الحق والعمل بالعلم ﴿وَإِذْ أَعَزَّلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

(٥) التعاون والتدارس في تحصيل العلم وفي العمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا^(١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا^(١٥).

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤/٤٤٨.



٦) تثبت بعضهم بعضاً في البلاء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَرَضْتُهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن
رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا ﴿١٦﴾

٧) تربيتهم على حسن التوكل على الله، قال تعالى: ﴿فَأَوْأَىٰ إِلَى
الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ
مَّرْفَقًا ﴿١٦﴾

٨) الاهتمام بالجانب الصحي، قال تعالى: ﴿وَرَوَى السَّمْسُ إِذَا
طَلَعَتْ تَزَوُّرًا عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ
الَّتِي كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَيَضِلُّ فَلَئِنْ تَجَدَّلْتُمْ فِي الْأَرْضِ لَمَجْدِلًا ﴿١٧﴾ أَي: حفظهم
الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه
يميناً، وعند غروبها تميل عنه شمالاً فلا يناهم حرها فتفسد
أبدانهم بها: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أَي: من الكهف
أى: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول
عنهم الوحم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصاً مع طول
المكث" (١).

٩) الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل
ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ
قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ﴿١٩﴾ [الكهف: ١٩].

١٠) التعاون فيما بينهم في تحصيل الرزق قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا
أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾



(١١) حث هؤلاء الذي يطلبون الحق بعضهم بعضا على أكل الطيبات من الطعام، كما ذكر الله عن قولهم: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

(١٢) ترك الجدال فيما لا ينفع، قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

(١٣) حسن الأدب مع الله تعالى حيث وكلوا العلم لله وحده قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

(١٤) الاهتمام بالجانب الأمني "والحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين" (١).

قال تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

(١٥) أن التوكل لا ينافي أخذ الأسباب بل هي منه، فهؤلاء صحبوا كلهم ونفقتهم، وأخذوا حذرهم مع توكلهم على الله تعالى.

وأخيرا في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩]، إشارة إلى أهمية تسجيل قصص السابقين لما فيها من عبرة وعظة، فالرقيم هو اللوح الذي سجلت عليه قصتهم.





الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

فهذه لمحة موجزة في رعاية الله لأنبيائه وأتباعهم التي ذكرها الله لنا في القرآن، وتبين لنا فيها أهم مقومات هذا المنهج الرباني الفريد في رعاية طلاب العلم، والذي ظهر أثره في ثلثة من الأنبياء جعل الله منهم منارات يهتدى بها في ميدان العلم والعمل والدعوة والصبر على ذلك كله. وتبين لنا الأدوار التي يجب أن يقوم بها كل فرد من أفراد المجتمع لمواصلة المسيرة، سيراً على الهدى الرباني في رعاية طلاب العلم وما تحتاجه تلك المسيرة من الاهتمام.

أولاً: نتائج البحث:

ويمكن بيان نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

١. أهمية رعاية طلاب العلم، حيث إنَّ الله عز وجل تكفل برعاية وتربية أنبيائه وصنعهم على عينه، وكانوا تحت معيته يوجههم ويربيهم ويحفظهم ويسر لهم أمورهم الاجتماعية.
٢. رعاية الله عز وجل لأنبيائه شملت مجالات كثيرة: من أعظمها الرعاية التربوية والأخلاقية والعلمية وإرشادهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، فقد آتاهم الكتاب والحكمة وزكاهم بالعلم والوحي.
٣. شملت رعاية الله لأنبيائه الجوانب الاجتماعية حيث يسر لهم معاشهم وسخر لهم طرق ذلك بما لا يتنافى مع مقامهم ودورهم.





٤. وشملت رعاية الله لأنبيائه تحذيرهم عوائق طلب العلم، وبين لهم آثار الجهل ونفرهم عنه.
٥. ومن رعاية الله لأنبيائه أن بصرهم بأساليب الدعوة وقوم منهاجهم فيها، ونوع لكل حالة ما تحتاجه من أساليب.
٦. من رعاية الأنبياء لطلابهم تعليمهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء، مع وصيتهم بالصبر على طلب العلم ووسائل تلقيه.
٧. من رعاية العالم بطلابه أن يختار لهم الكلام الطيب المؤثر ليدفعهم إلى العمل بالعلم وتطبيقه.
٨. من رعاية طلاب العلم بعضهم بعضاً حث بعضهم بعضاً على المباحثة في العلم، والتعاون فيما بينهم في تحصيل الرزق الذي يساعدهم على مواصلة الطلب.

ثانياً: توصيات البحث:

١. رعاية الله سبحانه وتعالى لأنبيائه، ورعاية الأنبياء لطلابهم هي السنة المهجورة التي يجب أن نُحْيَا في واقع المجتمعات العلمية والتعليمية اليوم.
٢. ضرورة النظر في كتاب الله تعالى لاقتباس شيء من نوره والتعلم منه خطط إقامة جميع أمور حياتنا ولا يقتصر فقط على تلاوته والتغني به.
٣. بروز الحاجة الشديدة لبرنامج رعاية طلاب العلم، وخصوصاً طلاب العلم الشرعي، لأنهم باعوا أوقاتهم





وأعمارهم، وديانهم من أجل إخراج الناس من الضلال إلى الهدى.

٤. يجب على المسؤولين في كل بلد التعاون مع علماء ذلك البلد في تبليغ العلم لطلابه، فدور العالم التعليم والعناية بالمتعلم، ودور المسؤول العناية بالعالم والمتعلم في تقديم ما يحتاجان إليه.

٥. ضرورة إنشاء مؤسسات منظمة تقوم على رعاية طلاب العلم خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالبت فيه أمم الأرض الباطلة على الإسلام وأهله ومن يدعو إليه، مما جعل كثيراً من الشباب يهرب عن تعلم العلم لكي لا يصيبه مكروه.

٦. ضرورة رعاية جيل طلاب العلم في كل المجالات، وتخصيص كل فئة في نوع من العلوم.

٧. الحاجات التي رعى الله تعالى طلاب العلم بها، من التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكره تحتاج إلى تنظيم برامج ومناهج تتبناها مؤسسات أو جمعيات خيرية أو حكومية لتحقيق هدف صناعة الأجيال، لتعيد صياغة مستقبل أمتنا على نور وهدى من شرع الله.

٨. أملنا أن يكون هذا البحث خطوة لتحقيق ذلك الأمل الذي نتمناه والذي يتمناه المسلمون في كل مكان كما يتمناه





المخلصون لهذا الدين من علماء وأساتذة ودعاة سواء بسواء.
اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن
يهتدون بهدي سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته
إلى كل البدو والحضر، وممن يقومون على رعاية من يطلب هذه
السنة ويوصلونها للناس، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من
لبنات بناء صرح هذه الأمة العظيم.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا
البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يجرمنا وإياهم
الأجر، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم
وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم آمين.

وفي الختام أقول هذه محاولة بشر، أراد بها الخير له ولأئمة
ولإخوانه في طريق طلب العلم والدعوة إلى الله، وعمل البشر
لا يخلو من أخطاء وزلل فما كان في هذا العمل من خير وصواب
فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن الشيطان،
وأسأل الله تعالى أن يغفره لي، وأن يتجاوز عني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين





قائمة المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - آدم من وحي من القرآن - الدكتور عقيل حسين عقيل - دار بن كثير - دمشق - ٢٠١٠م.
- ٣ - أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - مكتبة المنار الإسلامية - ط ٣ (١٣٩٦هـ).
- ٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ط (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٥ - إغاثة اللفغان من مصائد الشيطان - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية، ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.
- ٦ - الإملاء والترقيم في الكتابة العربية - عبد العليم إبراهيم - مكتبة غريب - مصر.
- ٧ - البحر المحيط - محمد بن يوسف أبوحيان الأندلسي - دار الفكر - بيروت - ط ٢ (١٤٠٣هـ).
- ٨ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد - أحمد بن محمد بن المهدي - المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان - الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة - الطبعة: ١٤١٩ هـ - ومن أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير موافق لـ ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٩ - البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري - عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- ١٠ - بدائع التفسير - ابن القيم - دار ابن الجوزي - الرياض.
- ١١ - البرهان في علوم القرآن - محمد بن بهادر الزركشي أبو عبد الله - دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ١٢ - تاريخ الأمم والملوك - محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٢ (١٤٠٨هـ).





- ١٣ - التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ م.
- ١٤ - تفسير ابن عثيمين - جزء الذاريات - محمد بن صالح العثيمين - طبعة مؤسسة ابن عثيمين الخيرية ١٤٣٥ هـ.
- ١٥ - تفسير الجلالين - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - الناشر: دار الحديث - القاهرة - الطبعة ١.
- ١٦ - تفسير القرآن العظيم - عبدالرحمن بن محمد ابن أبي حاتم - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ط١ (١٤١٧ هـ)
- ١٧ - تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تحقيق: سامي السلامة - دار طيبة - الرياض - ط١ (١٤١٨ هـ).
- ١٨ - تفسير سورة ص - ابن عثيمين - دار الثريا - عناية مؤسسة ابن عثيمين الخيرية.
- ١٩ - تفسير مقاتل بن سليمان - أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي - تحقيق: أحمد فريد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ٢٠ - التوبة لابن أبي الدنيا - أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا - تحقيق: مجدي السيد إبراهيم - مكتبة القرآن - القاهرة.
- ٢١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - ط١ (١٤٢٠ هـ).
- ٢٢ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - ط٢ (١٤٠٩ هـ).
- ٢٣ - جامع البيان - محمد بن جرير الطبري - تحقيق د. عبدالله التركي - مركز البحوث والدراسات الإسلامية - القاهرة - ط١ (١٤٢٢ هـ)





- ٢٤ - جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ - ١٩٨٩م) - اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ٢٥ - الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي.
- ٢٦ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - المحقق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ
- ٢٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٤ (١٤٠٥هـ).
- ٢٨ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق د. عبدالله التركي - مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية - القاهرة - ط ١ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- ٢٩ - دعوة الرسل عليهم السلام - أحمد غلوش - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٢٣هـ.
- ٣٠ - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية - أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية - المحقق: د. محمد السيد الجليند - الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق - الطبعة: الثانية، ١٤٠٤.
- ٣١ - الديباج على مسلم - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - حققه: أبو إسحاق الحويني الاثري - دار ابن عفان - الخبر - السعودية - ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- ٣٢ - الذريعة إلى مكارم الشريعة - الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي - دار النشر: دار السلام - القاهرة - عام النشر: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٣٣ - رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن بن قيم الجوزية - المحقق: عبد الله بن محمد المديفر - الناشر: مطابع الشرق الأوسط - الرياض - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.





- ٣٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي - دار الفكر - بيروت - ط ١٤٠٣.
- ٣٥ - الروض الأنف (تفسير سيرة ابن هشام) - عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، إخراج: عبدالرؤوف سعيد - دار المعرفة - بيروت - ط منقحة، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- ٣٦ - زاد المسير في علم التفسير - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ٣٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٤ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- ٣٨ - مجموعة ليدبروا آيته - حصاد ٧ سنوات تدبر - إعداد مركز تدبر.
- ٣٩ - سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه القزويني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ - ١٩٨٩م) - اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- ٤٠ - شعب الإيمان - أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١٠هـ).
- ٤١ - صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - اعتناء أبي صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ-١٩٨٩م).
- ٤٢ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - اعتناء أبي صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ-١٩٨٩م).
- ٤٣ - فتاوى السبكي - علي بن عبد الكافي السبكي - الناشر: دار المعارف.
- ٤٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط ١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).





- ٤٥ - فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان - محمد صديق خان - المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت - عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٤٦ - الفوائد - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٤٨ - قصص الأنبياء - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي - تحقيق: مصطفى عبد الواحد
- ٤٩ - القصص القرآني - صلاح الخالدي - دار القلم - دمشق - ط ١ (١٤١٩ هـ).
- ٥٠ - الكامل في التاريخ - علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير - دار صادر - بيروت (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
- ٥١ - لباب التأويل (تفسير الخازن) - علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن - دار الفكر.
- ٥٢ - موسى بين يدي الخضر، مقال مجلة البيان - تصدر عن المنتدى الإسلامي - عدد ٦٢ - د خالد السيف.
- ٥٣ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين بإشراف رئاسة شؤون الحرمين، (١٤٠٤ هـ).
- ٥٤ - محاسن التأويل - محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي - المحقق: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- ٥٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).
- ٥٦ - المستدرك على الصحيحين - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).





- ٥٧ - المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان -
مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٩هـ
- ٥٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: أحمد بن حنبل - المحقق:
شعيب الأرنؤوط وآخرون - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة:
الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٥٩ - معالم التنزيل - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - حققه محمد عبدالله
النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش - دار طيبة - الرياض -
ط ٤ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- ٦٠ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب
بفخر الدين الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة
- ١٤٢٠هـ.
- ٦١ - مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار
القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤م.
- ٦٢ - المنهاج شرح صحيح مسلم (شرح النووي) - أبو زكريا يحيى بن
شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٢
(١٣٩٢هـ).
- ٦٣ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن
إبراهيم بن عمر البقاعي - دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٦٤ - النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - تحقيق:
السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم - دار الكتب الثقافية - بيروت - ط ١
(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)





فهرس المحتويات

| | |
|----|--|
| ٥ | المقدمة |
| ٦ | سبب اختيار الموضوع |
| ٦ | خطة البحث |
| ١١ | منهجية البحث |
| ١٣ | تمهيد: حول رعاية الله للأنبياء عموماً |
| ١٣ | المطلب الأول: الرعاية الشاملة لجميع الأنبياء |
| ١٤ | ١ - اصطفاؤهم واختيارهم لتلقي الوحي وإبلاغه |
| ١٥ | ٢ - إرشادهم وتعليمهم وهدايتهم إلى الطريق المستقيم |
| ١٦ | ٣ - أن الله آتاهم الكتاب والحكمة |
| ١٦ | ٤ - جعل الله لهم من أبنائهم وذرياتهم صالحين ومصلحين |
| ١٧ | ٥ - تسخير الله معاشهم |
| ١٧ | ٦ - جمع الله لهم بين النبوة والابتلاء |
| ١٨ | ٧ - جمع الله لهم بين النبوة والبشرية |
| ١٩ | المطلب الثاني: الرعاية الخاصة لبعضهم |
| ١٩ | ١ - مكن الله بعضهم من رعاية أبنائهم حتى جعلهم أنبياء |
| ٢٠ | ٢ - جمع الله لبعضهم بين النبوة والملك: |
| | الفصل الأول: رعاية الله لأولي العزم من الرسل عليهم |
| ٢١ | الصلاة والسلام |





- المبحث الأول: رعاية الله لنوح عليه الصلاة والسلام ٢٣
- المطلب الأول: الرعاية التربوية لنوح عليه الصلاة والسلام ٢٣
- ١ - تربيته على التعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين ٢٣
- ٢ - تربيته على عبادة الشكر ٢٤
- ٣ - تربيته على الأمانة والعفة عما في أيدي الناس: ٢٥
- ٤ - تربيته على الصبر ٢٦
- ٥ - تربيته على الحلم ٢٦
- ٦ - تربيته على نصرة الضعفاء من المؤمنين ٢٦
- المطلب الثاني: الرعاية الدعوية لنوح عليه الصلاة والسلام ٢٨
- ١ - تعليمه أسس الدعوة ٢٨
- ٢ - توجيهه إلى النصح للمدعوين والشفقة عليهم ٢٨
- ٣ - تربيته على الترفق بالمدعوين: ٣٠
- ٤ - تعليمه أسلوب الترغيب والترهيب: ٣٠
- ٥ - تعليم الله له صناعة السفن ٣١
- ٦ - التخفيف على نوح عليه الصلاة والسلام مما يلاقيه في دعوته ٣٢
- المبحث الثاني: رعاية الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٣
- المطلب الأول: الرعاية الخاصة من الله لنبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٣
- ١ - اجتهاب الله وهدايته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٣
- ٢ - أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً ٣٣





- ٣ - حفاوة الله بإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٤
- ٤ - آتاه الله الرشد: ٣٥
- ٥ - أهله الله تعالى ليكون أمة ٣٥
- ٦ - حفظ الله لإبراهيم من النار ٣٦
- ٧ - تطمين قلبه برؤيته مقدره الله على إحياء الموتى ٣٧
- المطلب الثاني: الرعاية العلمية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٨
- أولاً: تعليمه التفكير في خلقه: ٣٨
- ثانياً: تعليمه قوة الحجّة ٤٠
- ثالثاً: تعليمه قوة المناظرة: ٤٠
- رابعاً: تعليمه البناء: ٤٢
- المطلب الثالث: الرعاية التربوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٤٣
- ١ - تربيته على الأدب مع الله تعالى ٤٣
- ٢ - تربيته على أدب الحوار ٤٣
- ٣ - تربيته على الدعاء والالتجاء إليه: ٤٤
- ٤ - تربيته على الإيمان بأنه لا يمسه إلا ما كتب له: ٤٥
- ٥ - تربيته إدراك النعمة وعلى حمد الله وشكره على نعمه ٤٥
- ٦ - تربيته على التواضع وطلب قبول العمل وعدم الإعجاب
بالنفس وبالعمل ٤٦
- ٧ - تربيته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام على خلق الحلم: ٤٨
- ٨ - تربيته على خشية الله والتوبة إليه: ٤٩





- ٩ - تربيته على الكرم والسخاء: ٤٩
- ١٠ - تربيته على الشجاعة ٥٠
- ١١ - سلامة القلب ٥٠
- المطلب الرابع: الرعاية التربوية على السمع والطاعة المطلقة ٥١
- الموقف الأول: الاستسلام لله عندما أمره بذبح ابنه ٥١
- الموقف الثاني: تركه لزوجته وابنه في مكة ٥٣
- المطلب الخامس: الرعاية الأسرية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ٥٥
- ١ - جعله الله تعالى باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه ٥٥
- ٢ - رزقه الله ابناً باراً يطيعه ويساعده ٥٦
- ٣ - أشبع الله تعالى له رغبة الأبوة رحمة منه سبحانه ٥٧
- ٤ - حفظ الله لأسرته ٥٨
- ٥ - رعاية الله له في صلاح أولاده وأن تكون النبوة فيهم ٥٨
- ٦ - تربية إسماعيل بطريقة غير مباشرة عن طريق أمه: ٥٩
- ٧ - بشارته بولده إسحاق وحفيده يعقوب وصلاحهم ونبوتهم ٦٠
- ٨ - صلاح زوجاته عليه الصلاة والسلام ٦٠
- المبحث الثالث: رعاية الله لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وأمهما ٦٢
- المطلب الأول: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال أمه ٦٢
- ١ - رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام من خلال إرضاع

أمه له وعنايتها به ٦٢





- ٢ - إنجائه من القتل وهو صغير بالوحي إلى أمه أن تقذفه في اليم ٦٣
- ٣ - رعاية الله تعالى لموسى بالثبوت لأمه ٦٣
- ٤ - رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام برده إلى أمه ٦٤
- المطلب الثاني: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام رعاية خاصة ٦٦
- ١ - تصريح الله بحبه لموسى ٦٦
- ٢ - تصريح الله بأنه صنعه على عينه ٦٦
- ٣ - صناعة موسى خالصاً لله ٦٧
- ٤ - اصطفاء الله لموسى بالرسالة والكلام ٦٨
- ٥ - كان مقرباً من الله ٦٨
- ٦ - كانت له الوجاهة عند الله تعالى ٦٩
- المطلب الثالث: الرعاية التربوية لموسى عليه الصلاة والسلام ٦٩
- ١ - أمر الله سبحانه وتعالى لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة ٦٩
- ٢ - تربيته على طلب العلم: ٧٠
- ٣ - تربية الله تعالى لموسى على الشكر ٧١
- ٤ - تربيته على الحياء ٧١
- ٥ - تربيته على الصبر: ٧١
- ٦ - تربيته على التواضع لله تعالى ٧٢
- ٧ - تربيته على أدب التواضع لأهل الفضل: ٧٣
- ٨ - تربيته على إظهار الافتقار إلى الله: ٧٤
- ٩ - تربيته على الدعاء وكثرة الذكر ٧٤





- ١٠ - تربيته على الثقة بالله وحسن التوكل عليه: ٧٦
- ١١ - الاعتراف بالخطأ والرجوع للحق ٧٧
- ١٢ - تربيته على نخوة الرجولة والفطرة السليمة تجاه النساء
والضعفاء ٧٩
- ١٣ - التربية على الشجاعة وعدم الخوف ٨٠
- ١٤ - تربيته على القوة والأمانة ٨١
- ١٥ - تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عليه الصلاة والسلام بالمواقف ٨٢
- المطلب الرابع: الرعاية النفسية لموسى عليه الصلاة والسلام ٨٤
- أولاً: إزالة ما في صدر موسى عليه الصلاة والسلام من الخوف ٨٤
- ثانياً: رعايته النفسية بتوفير أسباب الحياة الطيبة من زوجة
ومعاش ومكان آمن ٨٧
- المطلب الخامس: الرعاية الدعوية لموسى وهارون عليهما
الصلاة والسلام ٨٩
- أولاً: رعاية الله لموسى عليه الصلاة والسلام بإرسال أخيه
هارون معيناً له في الدعوة ٨٩
- ثانياً: توجيهه موسى وأخيه إلى الأمر بتوحيد الله والتعريف
بالله سبحانه ٩٠
- ثالثاً: توجيهه لموسى وأخيه هارون للين في الدعوة ٩٢
- رابعاً: توجيهه لموسى وأخيه للدعوة بالقدوة الحسنة ٩٢



خامساً: تأهيله لموسى عليه الصلاة والسلام على المناظرة وحسن





- الحوار: ٩٣
- سادسا: توجيهه موسى وأخيه لأسلوب الترغيب والترهيب ٩٥
- المبحث الرابع: رعاية الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ولأمه ٩٦
- المطلب الأول: الرعاية التربوية لعيسى عليه الصلاة والسلام ٩٦
- ١ - تربيته على العبودية لله تعالى: ٩٦
- ٢ - تربيته على بره بأمه ٩٧
- ٣ - التربية على التواضع وعدم التكبر على خلق الله ٩٨
- ٤ - التربية على الدعاء والالتجاء لله تعالى والأدب في ذلك: ٩٨
- ٥ - التربية على حسن التخاطب مع الله: ٩٩
- ٦ - التربية على نسبة الفضل لله ١٠٠
- ٧ - تربيته على الجدية والإيجابية من خلال تربيته لأمه ١٠١
- ٨ - تربيته على شدة تعظيم الله سبحانه ١٠١
- المطلب الثاني: الرعاية العلمية لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٢
- المطلب الثالث: الرعاية النفسية وحفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٣
- ١ - رفع الله لقدر عيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٣
- ٢ - الثناء بصلاح عيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٤
- ٣ - تذكر الله تعالى لعيسى بنعمه تطمأنة له ١٠٥
- ٤ - حفظ الله لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٥
- المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لعيسى عليه الصلاة والسلام ١٠٧





- ١ - تعليمه البدء بالدعوة لتوحيد الله عز وجل ١٠٧
- ٢ - تيسير الله له تعليم الناس الخير ١٠٧
- ٣ - أيده الله تعالى بالمعجزات ١٠٨
- ٤ - تأييده بروح القدس (جبريل عليه الصلاة والسلام): ١٠٩
- المطلب الخامس: رعاية الله تعالى لوالدته مريم عليها السلام ١٠٩
- ١ - عراقه نسب مريم ١١٠
- ٢ - دعاء امرأة عمران لمريم وقبول الله لها ١١٠
- ٣ - اصطفاء الله تعالى لمريم ١١١
- ٤ - تكليف الله تعالى من يكفل مريم ١١١
- ٥ - صلاح مريم وكثرة عبادتها ١١٢
- ٦ - رزق الله تعالى لمريم: ١١٣
- ٧ - تثبيت الله لمريم ١١٤
- ٨ - تقرير الله تعالى لعفة مريم ١١٥
- الفصل الثاني: نماذج من رعاية الله لبقية الرسل عليهم الصلاة
والسلام ١١٧
- المبحث الأول: رعاية الله لآدم عليه الصلاة والسلام ١١٨
- المطلب الأول: الرعاية التربوية لآدم عليه الصلاة والسلام ١١٨
- ١ - تربيته على التواضع ١١٨
- ٢ - تكريم الله لآدم عليه الصلاة والسلام بسجود الملائكة له: ١١٨
- ٣ - تحذير الله لآدم من إبليس وحسده ١١٩





- ٤ - ترغيب آدم في الجنة ونعيمها ١١٩
- ٥ - اختبار آدم وتعليمه أسباب الثبات ١٢٠
- ٦ - تربيته على احترامه للقسم ١٢٠
- ٧ - تربية آدم على ستر العورة: ١٢٠
- المطلب الثاني: الرعاية العلمية لآدم عليه الصلاة والسلام ١٢١
- ١ - تعليم الله آدم الأسماء ١٢١
- ٢ - تعليم الله آدم التوبة وأدب الدعاء ١٢٢
- ٣ - تعليم الله بني آدم الدفن ١٢٣
- المبحث الثاني: رعاية الله تعالى لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ١٢٤
- المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ١٢٤
- أولاً: الرعاية التربوية ١٢٤
- ثانياً: الرعاية العلمية ١٢٧
- المطلب الثاني: الرعاية الاجتماعية لإسماعيل عليه الصلاة والسلام ١٢٨
- أولاً: الرعاية الأسرية ١٢٨
- ١ - إلهام الله تعالى لإبراهيم دعاءه لأسرته ومنهم إسماعيل: ١٢٨
- ٢ - رعاية والده له بعد زواجه: ١٢٨
- ثانياً: الرعاية المادية؛ وذلك في أمور منها ١٢٨
- المبحث الثالث: رعاية الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٣٠
- المطلب الأول: الرعاية التربوية ليوسف عليه الصلاة والسلام ١٣٠





١ - تربيته على العبودية لله وحده والالتجاء إليه والتبرؤ من

الحول والقوة ١٣٠

٢ - تربيته على الإخلاص ١٣٠

٣ - تربيته على الصبر بكل أنواعه ١٣١

٤ - تربيته على نسب الفضل لأهله ١٣١

٥ - تربيته على العفة ١٣٢

٦ - تربيته على الذكاء والفطنة: ١٣٣

٧ - تربيته على كظم الغيظ والحلم والعفو والصفح عمّن ظلمه

عند المقدرة ١٣٣

٨ - تربيته على إنكار الذات ١٣٤

٩ - تربيته على عدم جرح المشاعر ١٣٤

المطلب الثاني: الرعاية العلمية ليوסף عليه الصلاة والسلام ١٣٥

١ - تعليمه تفسير وتأويل الرؤيا ١٣٥

٢ - تعليمه العلم النافع مع الحكمة ١٣٦

٣ - تعليمه مهارة القيادة ١٣٦

٤ - علمه العقيدة والدعوة ١٣٧

٥ - تعليمه فن وأدب الحوار ١٣٧

المطلب الثالث: الرعاية الأسرية ليوסף عليه الصلاة والسلام ١٣٨

المطلب الرابع: الرعاية الدعوية ليوסף عليه الصلاة والسلام ١٤٠

المطلب الخامس: الرعاية الأمنية ليوסף عليه الصلاة والسلام ١٤٣





- المطلب السادس: الرعاية المهارية ليوסף عليه الصلاة والسلام ١٤٤
- ١ - تأويل الرؤيا: ١٤٤
- ٢ - الحُكم والإدارة: ١٤٤
- ٣ - التميز بالحفظ والأمانة والعلم بالصنعة: ١٤٥
- ٤ - حسن الإدارة والتدبير: ١٤٥
- ٥ - حسن الخطاب ١٤٥
- المطلب السابع: رعاية الله ليوסף عليه الصلاة والسلام وإخوته
- من خلال والدهم يعقوب عليه الصلاة والسلام ١٤٦
- أولاً: الرعاية الأمنية ١٤٦
- ثانياً: الرعاية التربوية العلمية: ١٤٧
- المبحث الرابع: رعاية الله لداود عليه الصلاة والسلام ١٤٩
- المطلب الأول: الرعاية التربوية لداود عليه الصلاة والسلام ١٤٩
- المطلب الثاني: الرعاية العلمية لداود عليه الصلاة والسلام ١٥٢
- المطلب الثالث: الرعاية المهارية لداود عليه الصلاة والسلام ١٥٤
- ١ - آتاه الله الملك: ١٥٤
- ٢ - سَخَّرَ اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ وَالْحَدِيدَ: ١٥٥
- ٣ - عَلَّمَ اللهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صِنَاعَةَ الدَّرُوعِ ١٥٥
- ٤ - عَلَّمَ اللهُ تَعَالَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ: ١٥٦
- ٥ - عِلْمُهُ اللهُ سَبْحَانَهُ مَهَارَةُ الْقَضَاءِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ١٥٧
- المبحث الخامس: رعاية الله لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٥٨





- المطلب الأول: الرعاية التربوية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٥٨
- أولاً: تربيته على الدعاء ١٥٨
- ثانياً: تربيته على الشكر والتفطن فيه: ١٥٩
- ثالثاً: تربيته على التوبة والإنابة لله تعالى ١٦٢
- رابعاً: التربية على التواضع للعلم ولمن هو أعلم ١٦٣
- خامساً: تربيته على القناعة بما رزقه الله وعدم الخضوع للمغريات
الدينيوية ١٦٣
- سادساً: تربيته على الثبوت من الأخبار: ١٦٤
- المطلب الثاني: الرعاية العلمية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٥
- ١) تعليم الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٥
- ٢) تفضيل الله تعالى سليمان عليه الصلاة والسلام بالعلم والفهم ١٦٥
- المطلب الثالث: الرعاية المهنية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٦
- ١) آتاه الله تعالى الملك ١٦٦
- ٢) تربيته على الإتيان في العمل ومتابعته الرعية بنفسه ١٦٦
- ٣) رعاية التسخير والنصرة والتأييد ١٦٧
- المطلب الرابع: الرعاية الدعوية لسليمان عليه الصلاة والسلام ١٦٩
- ١ - تعليمه الدعوة إلى التوحيد ١٦٩
- ٢ - حرصه على الدعوة إلى الله ١٦٩
- ٣ - تعليمه مهارة الإقناع الدعوي وإقامة الحججة: ١٧٠
- المبحث السادس: رعاية الله لأيوب عليه الصلاة والسلام ١٧١





المطلب الأول: رعاية الله تعالى أيوب عليه الصلاة والسلام من

١٧١ خلال ابتلائه

١٧٣ المطلب الثاني: الرعاية التربوية لأيوب عليه الصلاة والسلام

١٧٣ ١ - تربيته على اللجوء لله تعالى

١٧٣ ٢ - تربيته على حسن الأدب في الدعاء

١٧٥ ٣ - تربيته على الصبر على البلاء:

١٧٥ ٤ - تربيته على التوبة والرجوع إلى الله:

المطلب الثالث: الرعاية الصحية والاجتماعية لأيوب عليه

١٧٦ الصلاة والسلام

١٧٨ المبحث السابع: رعاية الله لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام

المطلب الأول: الرعاية التربوية والعلمية لذكريا ويحيى عليهما

١٧٨ الصلاة والسلام

١٧٨ ١ - التربية على العبودية لله تعالى

١٧٩ ٢ - تربيته على كثرة الذكر والدعاء وأدب المناجاة لربه

١٨١ ٣ - تربيتها على قدرة الله تعالى على كل شيء

١٨٣ ٤ - تربيته على التواضع

١٨٣ ٥ - تربيته على الحنان

١٨٤ ٦ - رزقه الطهارة والعفة

١٨٤ ٧ - رزقه السلامة والإسلام

١٨٥ المطلب الثاني: الرعاية الأسرية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام



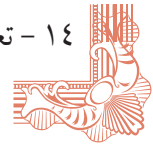


- ١ - إصلاح زوجه والدة يحيى ١٨٥
 - ٢ - إشباع رغبة الأبوة: ١٨٥
 - ٣ - توفيق الله لذكريا بحسن الدعاء بالذرية الصالحة ١٨٥
 - ٤ - جعل الله يحيى باراً بوالديه ١٨٦
- المطلب الثالث: الرعاية الدعوية لذكريا ويحيى عليهما الصلاة
والسلام ١٨٦
- ١ - حرصه على ذرية تخلفه في دعوته ١٨٦
 - ٢ - حرص زكريا على إبلاغ دعوته بكل وسيلة ١٨٨
 - ٣ - إصلاح يحيى واصطفائه نبياً ١٨٨
 - ٤ - أعطى الله تعالى يحيى الحكم وهو صبي ١٨٩
- الفصل الثالث: رعاية الله لأتباع الأنبياء والرسل في طلب العلم
وتعليمه ١٩٠
- المبحث الأول: قصة مؤمن آل فرعون ١٩١
- المطلب الأول: عرض قصة مؤمن آل فرعون من القرآن ١٩١
- المطلب الثاني: عرض قصة مؤمن آل فرعون باختصار ١٩٣
- المطلب الثالث: فوائد منهجية في رعاية طلاب العلم من خلال
القصة ١٩٥
- المبحث الثاني: قصة موسى والخضر ١٩٨
- المطلب الأول: عرض قصة موسى والخضر من القرآن ١٩٨
- المطلب الثاني: معنى الآيات إجمالاً ٢٠٠





- المطلب الثالث: الفوائد المستنبطة من القصة ٢٠٤
- ١ - دعاء موسى الله تعالى التيسير في الوصول للعلم وأخذه
والرحلة من أجله: ٢٠٤
- ٢ - فضيلة العلم، والرحلة في طلبه وأنه أهم الأمور: ٢٠٥
- ٣ - "أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤمن، وطلب الراحة: ٢٠٥
- ٤ - تحمل المشاق في الرحلة لطلب العلم ٢٠٥
- ٥ - كل ما أمر الله به لا مشقة فيه ولا نصب ٢٠٦
- ٦ - أن يضع الطالب لنفسه هدفاً من رحلته ويجد في طلبه: ٢٠٦
- ٧ - الأدب في الحديث مع العلماء: ٢٠٦
- ٨ - إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى والإقرار بذلك،
وشكر الله ٢٠٧
- ٩ - تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه: ٢٠٧
- ١٠ - حرص طالب العلم والمعلم على الاهتمام بالعلم النافع
تعليماً وتعلماً ٢٠٧
- ١١ - توضيح العلماء لطلابهم صعوبة الصبر على العلم وصعوبة
تلقي العلم: ٢٠٨
- ١٢ - العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة
بالله: ٢٠٨
- ١٣ - جواز وضع العالم شروطاً لمن يأتي لطلب العلم: ٢٠٨
- ١٤ - تعليم العلماء لطلابهم آداب الطلب والتخاطب مع العلماء: ٢٠٩





- ١٥ - مراعاة المعلم مستوى المتعلم ووقت التعليم ٢٠٩
- ١٦ - اهتمام المعلم بطلاب العلم ٢٠٩
- ١٧ - الأمر بالتأني والثبت: ٢٠٩
- ١٨ - صبر العالم وتلطفه بالطالب: ٢١٠
- ١٩ - اعتذار الطالب وطلب المسامحة عند الخطأ: ٢١٠
- ٢٠ - عدم التعسير على الطلاب ومحاسبتهم عند أول خطأ ٢١٠
- ٢١ - تبيين المشكل من المعلم للطلاب ٢١١
- ٢٢ - أن يكون المعلم قدوة للطالب في عمل الخير: ٢١١
- ٢٣ - إعطاء تغذية راجعة للمتعلم ٢١١
- ٢٤ - تعليم الطالب التأدب في الخطاب ٢١١
- ٢٥ - أن من لا صبر له لا يدرك مطلبه ٢١٢
- ٢٦ - وجوب التأني عند الإنكار في المحتملات ٢١٢
- المبحث الثالث: قصة الغلام والساحر والراهب ٢١٣
- المطلب الأول: ما ورد من القصة في القرآن والسنة ٢١٣
- المطلب الثاني: الفوائد العملية من القصة ٢١٦
- أولاً: قواعد للعلماء والمسؤولين عن رعاية طالب العلم: ٢١٦
- ثانياً: قواعد رعاية طالب العلم عند المعلم الصالح: ٢١٨
- المبحث الرابع: قصة أصحاب الكهف ٢٢١
- المطلب الأول: عرض إجمالي لقصة أصحاب الكهف ٢٢١





٢٥٣



رعاية الله
للأنبياء وأتباعهم في القرآن



المطلب الثاني: فوائد في رعاية طلاب العلم من قصة أصحاب

٢٢٣ الكهف

٢٢٦ الخاتمة

٢٣٠ قائمة المصادر والمراجع

٢٣٧ فهرس المحتويات





منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين

رعاية الله تعالى للأنبياء وأتباعهم في القرآن



الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً بشر من آحاد البشر اصطفاهم الله بأن جعلهم أنبياء وأهلهم لذلك بالعلم ليعلموا الناس ويرشدوهم إلى الله تعالى، وهذا العلم الذي تعلموه من عند الله تعالى أوحى الله به إليهم عن طريق جبريل عليه الصلاة والسلام، فلا غرابة أن نقول عن هؤلاء الأنبياء أنهم كانوا طلبة علم يتعلمون ويعلمون.

ولتلك الفئة الذين اصطفاهم الله أنبياءً عنايةً خاصةً من الله تعالى، فالله تعالى هياهم لحمل وتبليغ رسالته للناس فحظوا بكل أنواع الرعاية الإلهية.

وهذا البحث محاولة لعرض رعاية الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام الذين اعتنى بهم الله تبارك وتعالى، ورباهم وعلمهم، وأهلهم لحمل رسالته.



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع